جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

صورة المحارب في ديواني عمرو بن معد يكرب الزبيدي والقعقاع ابن عمرو التميمي

إعداد الطالب
محمد خالد المبيضين

إشراف
الأستاذ الدكتور خليل الرفوع

رســـــالة مقدمـــــة إلى كليـــــة الدراســـــات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
اللغة العربية وآدابها / قســـــم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2017

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر
بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

MUTAH UNIVERSITY
College of Graduate Studies

نموذج رقم (١٤)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب محمد خالد المبيضين الموسومة بـ:

صورة المحارب في ديواني عمرو بن معد يكرب الزبيدي والقعقاع ابن عمرو التميمي

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية.

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. خليل عبد الرؤوف		17/4/2017	مشرفاً ورئيساً
أ.د. ماهر احمد المبيضين		17/4/2017	عضواً
د. احمد صالح الزهبي		17/4/2017	عضواً
د. سلامه هليل الغريب		17/4/2017	عضواً

عميد كلية الدراسات العليا

أ.د. محمد عبدالرحيم المحاسنه

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL. 03/2372380-99
Ext. 5328-5330

مؤتة – الكرك – الأردن
الرمز البريدي: ٦١٧١٠
تلفون: ٠٣/٢٣٧٢٣٨٠-٩٩
فرعي 5328-5330

الإهداء

إلى أبي وأمي.... إحساناً وبرًّا بهما.

إلى زوجتي الغالية، وولدي(عبدالله، ورند).

إلى روح عمي، وابنته الطاهرتين اللتين تسكنان الجنة بإذن الله تعالى(الأستاذ الدكتور مخلد المبيضين).

إلى الصديقين العزيزين(خالد الحروب، ومجدي العوايدة).

إليهم أهدي هذا الجهد المتواضع.

محمد خالد المبيضين

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، صاحب الفضل، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور خليل الرفوع؛ الذي لم يدَّخر جَهداً في إعانتي وتوجيهي وتقديم النصح لي كي أصل إلى السبيل القويم في هذه الدراسة، سواءً ما أفادني به من علم شفاهي، أو أبحاث خطَّها بماء الذهب، أو رسائل أشرف عليها فخرجت في أجمل صورة وأبهاها، وإنني على علم تام بأنَّه كان يحمل تصوُّراً في ذهنه لهذه الدراسة، أتمنى من الله أن أكون قد وصلت إليه، أو اقتربت من معالم ذلك التصور.

كما أتقدَّم بجزيل الشكر والتقدير لأعضاء هيئة المناقشة الأفاضل الأستاذ الدكتور: ماهر المبيضين، والدكتور: أحمد الزعبي، والدكتور: سلامة الغريب، على ما وجَّهوه من ملاحظات، كان الهدف منها إثراء هذا العمل المتواضع، وإخراجه بصورة علمية دقيقة، وتفضلهم بمناقشة الرسالة وتحمُّل عناء قراءتها وتقويمها، فلهم كل الشكر والتقدير.

محمد خالد المبيضين

قائمـــة المحتويـــات

المحتوى	الصفحة
الإهـــداء	أ
الشكر والتقدير	ب
قائمة المحتويات	ج
الملخص باللغة العربية	ز
الملخص باللغة الانجليزية	ح
المقدِّمة:	1
التمهيد:	3
الفصل الأول: صورة المحارب	9
1.1 المحارب وصفاته	9
2.1 عمرو بن معد يكرب محارباً	13
1.2.1 نسبه	14
2.2.1 جاهليته	15
3.2.1 إسلامه	16
4.2.1 وفاته	17
3.1 عمرو قبل المعركة	18
1.3.1 عمرو مستعد للحرب	18
1.1.3.1 الاستعداد النفسي	18
2.1.3.1 الاستعداد المادي للحرب	20
1.2.1.3.1 الخيل	20
2.2.1.3.1 السيف	21
3.2.1.3.1 الرمح	22
4.2.1.3.1 الدرع	23
3.1.3.1 الاستعداد البشري	23
4.1 لماذا يحارب	25

5.1 عمرو في دائرة المعركة 28
1.5.1 الصور الحركيَّة 28
1.1.5.1 صورة الخيل في المعركة 29
2.1.5.1 صورة الرماح في المعركة 30
3.1.5.1 صورة السيف في المعركة 31
2.5.1 الصور الجسديَّة 32
1.2.5.1 كارًّا في المعركة 32
2.2.5.1 نحول الجسد 34
3.5.1 الحالة النفسية 34
6.1 عمرو بعد المعركة 35
1.6.1 عمرو منتصراً 35
2.6.1 عمرو منقذ الأسرى 36
3.6.1 عمرو يعترف 37
7.1 القعقاع بن عمرو محارباً 39
1.7.1 التعريف به 39
2.7.1 القعقاع في الفتوح الإسلامية 41
3.7.1 القعقاع قبل المعركة 43
1.3.7.1 الاستعداد للحرب 43
2.3.7.1 تلبية نداء الحرب 44
4.7.1 القعقاع في دائرة المعركة 45
1.4.7.1 الصور الحركية 46
2.4.7.1 صورة الخيل 46
3.4.7.1 صورة السيف 47
4.4.7.1 السهام 47
5.4.7.1 صورة الرماح 48
5.7.1 حالته الجسديّة 48

6.7.1 القعقاع بعد المعركة 49
1.6.7.1 القعقاع منتصراً 49
2.6.7.1 القعقاع يتذكر 50
8.1 مقارنة بين الشاعرين 52
الفصل الثاني: القوم المحاربون 54
1.2 مفهوم القبيلة 54
2.2 قوم عمرو بن معد يكرب محاربين 55
1.2.2 قوم عمرو قبل الحرب 56
1.1.2.2 رصد حركة القوم نحو المعركة 56
2.1.2.2 الفخر بالقوم قبل المعركة 57
3.1.2.2 القبيلة تستغيث بفارسها 58
4.1.2.2 حالة القبيلة الاقتصادية قبل المعركة 59
2.2.2 قوم عمرو في دائرة الحرب 60
1.2.2.2 معجب بفعال القبيلة في الحرب 60
2.2.2.2 لائماً قبيلته 61
3.2.2.2 فتيان القبيلة يحاربون 63
4.2.2.2 القبيلة المؤمنة 64
3.2.2 قوم الشاعر بعد الحرب 65
1.3.2.2 القبيلة تهزم 65
2.3.2.2 القبيلة تَأْسِرُ 66
3.3.2.2 تفضيل القبيلة على نفسه 67
4.3.2.2 رثاء أبناء القبيلة 68
3.2 قوم القعقاع بن عمرو التميمي محاربين 68
1.3.2 قوم القعقاع قبل الحرب 69
1.1.3.2 رصد حركة القوم 69
2.1.3.2 رسائل حربية للقوم 70

2.3.2 قوم القعقاع في دائرة الحرب 71
1.2.3.2 القوم يسيطرون على المعركة 72
2.2.3.2 التخطيط السليم من أرض المعركة 73
3.2.3.2 إظهار نتيجة المعركة من داخلها 73
3.3.2 قوم القعقاع بعد المعركة 74
1.3.3.2 القوم يَهزِمون 74
2.3.3.2 قتل القادة 76
3.3.3.2 رثاء القوم 77
2. 4 مقارنة بين قومي الشاعرين 77
الفصل الثالث: العدو المحارب 80
1.3 وصف العدو 80
3. 2 العدو المحارب في شعري عمرو بن معد يكرب والقعقاع بن عمرو التميمي 82
1.2.2 العدو مهزوماً 82
2.2.2 العدو مأسوراً 87
3.2.3 تمني لقاء العدو 89
الخاتمة 93
قائمة المراجع 95

الملخص

صورة المحارب في ديواني عمرو بن معد يكرب الزبيدي والقعقاع بن عمرو التميمي

محمد خالد المبيضين

جامعة مؤتة،2017

تتناول هذه الدراسة صورة الحرب في ديواني الشاعرين عمرو بن معد يكرب الزبيدي والقعقاع بن عمرو التميمي، بالإضافة إلى حياة الشاعرين الفارسين: عمرو بن معد يكرب الزبيدي، والقعقاع بن عمرو التميمي، راسمةً صورة للمحارب عند الشاعرين من خلال شعرهما.

وتتكون الدراسة من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة. ففي المقدمة تحدَّثت عن سبب اختياري هذا البحث ومنهجي في كتابته، أما التمهيد فقد عرفت فيه الصورة الفنية عند القدماء والمحدثين، كما عرفت فيه الحرب لغة واصطلاحًا، وقسمت الدراسة إلى ثلاثة فصول، تناولت في الفصل الأول: صورة المحارب وصفاته، وبيان حاله قبل المعركة وبعدها، وفي دائرتها، وفي الفصل الثاني: تناولت الدراسة أقوام الشاعرين، وصورهما قبل المعركة وبعدها وفي دائرتها، وأما الفصل الثالث: فقد وصف العدو المحارب، من حيث هزيمته ولقاؤه وأسره.

وكشفت الدراسة في الخاتمة، عن الجوانب الإبداعية في رسم صورة المحارب في أحواله كافة، وعن حسن الإجادة والسبك لدى الشاعرين في إيصال صورة المحارب من داخل المعركة.

Abstract

The image of the Warior in the Poetical Works of Amro bin Ma'd Yakrub Al-zubaidi and Alqa'qa' bin Amro Al-tamimi.

Muhammad Khalid Mbaideen
Mutah University, 2017

This study investigates the life of both poets and wariors Amro bin Ma'd Yakrub Al-zubaidi and Alqa'qa' bin Amro Al-tamimi. Also , it investigates the image of war in their poetical works , showing the exact image of both poets in their poems. This study contains the introduction , abstract , three chapters, and the conclusion. In the introduction i talked about the reason behind my chosen of this study. In the abstract i defined the meaning of artistry image of the old poets and modern ones. Also i defined the war theoretically and empirically. The study is divided into three chapters , the first chapter talks about the image of the warior and his characteristics , and shows his status before, middle, and after the battle. The second chapter , talks about our wariors and poets people and their artistry images before , middle , and after the battle. Finally, the third chapter describes the enemy through his subdued and being arrested. In the conclusion the study show the creativity factors in showing the image of the wariors , and their ability to express theirselves to show the image of the warior from inside the buttle

المقدِّمة:

الحمد لله فالق الحبِّ والنوى، سبحانه على العرش استوى، بعث محمداً يحمل لواء الهُدى، والصلاة والسلام على معلم البشريَّة الأول، الذي فضله الله على الخلق فكان الأفضل، وعلى آله وصحبه المكرمين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدِّين.

كانت الحرب بالنسبة للفارس العربي مبعثاً للحياة، رغم ما تجلبه من خراب ودمار، إلا أنَّه يراها الخيار الأفضل للحفاظ على الكرامة، مهما كانت دوافعها وأسبابها.

وتحتاج الحرب إلى من يشعل وقودها، ويضرم نارها، فلا يمكن أن نجد حرباً دون فارس يقود تلك الحرب، ولا يمكن لنا أن نرى حرباً دون قوم يحاربون ويدافعون عن حماهم وعن سمعة قبيلتهم.

وقد شغلت الحرب بال الباحثين والدارسين فأفردوا لها عدداً كبيراً من المؤلفات تناولت جوانب الحرب كافة، بما فيها الفارس المحارب، فوصفت استعداده للحرب، وصورته وهو يحارب من داخل المعركة، والحال التي كان عليها بعد المعركة.

وتتناول هذه الدراسة صورة الحرب والمحارب في ديواني الشاعرين الفارسين: عمرو بن معد يكرب الزبيدي، والقعقاع بن عمرو، في الجاهليّة والإسلام، وهي صورة ترفد صورًا أخرى للحرب جاءت عند شعراء آخرين، لكن لكلّ شاعر تجربة تنماز عن غيرها من التجارب، وتتّصف بخصوصيّة معيّنة، وإن جاءت بعض الصور مشتركة بين كثير من الشعراء من حيث الفكرة، مع اختلاف في طريقة العرض والسبك، وهذا ما ستستجليه هذه الدراسة تبيانا وكشفا لهذه الخصوصية في تصوير الحرب عند هذين الشاعرين الفارسين، في عصرين مختلفين: الجاهلي والإسلامي.

وتهدف هذه الدراسة إلى تناول حياة الشاعرين الفارسين: عمرو بن معد يكرب، والقعقاع بن عمرو، بالإضافة إلى صورة الحرب في ديوانيهما، حيث تختزل هذه الصورة رؤيا الشاعرين للحرب؛ إذ يظهر الموت بمعطيات فوضوية، وحين تحضر الحرب، فإنها لا تفرّق بين قريب وقاصٍ عنها، كما تظهر صورة الحرب

بصور متخيّلة بشعة، فهي ناقة لاقح، وبكر عوان مسنّة عقيمة، وهي أمّ تنجب الشؤم والخراب، وهي نار تستعر بالبشر فتحولهم رمادا، وهي غول ختور مُرّة المذاق كريهة الوجه.. وهذه الصور مستفزّة لمشاعر المتلقي؛ ما تستدعي الوجه الآخر الأكثر جمالا وإشراقا، صورة السلم وجماليته.

اعتمدت الدراسة في المقام الأوّل على ديواني الشاعرين، وكتاب شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام للقاضي النعمان، وكتاب شعراء إسلاميين لنوري حمودي القيسي، كما استعانت ببعض المصادر والمراجع التي أفادتها، وأغنت محتواها، ممّا هو مثبت بقائمة المصادر والمراجع.

وتفيد هذه الدراسة من مناهج أدبية متعدّدة حسب ما تستدعيه القضايا المطروحة، فهي تفيد من المنهج التاريخي والاجتماعيّ في دراسة حياة الشاعرين، وكذلك من المنهج الوصفي التحليلي في تحليل الأدوات الفنية التي عبّر الشاعران من خلالها عن صورة الحرب في أشعارهما.

وقسّمت الدراسة إلى تمهيد وثلاثة فصول: تناوَلَت في التمهيد الصورة الفنية لغة واصطلاحا عند القدماء والمحدثين، ومفهوم الحرب لغة واصطلاحا، وبحثَت في الفصل الأوّل صورة المحارب وصفاته، وبيان حالها قبل المعركة وبعدها، وحتى في أثناء المعركة، والاستعداد لها، كما تناولت حياة الشاعرين، وفي الفصل الثاني تناوَلت قومي الشاعرين محاربين، قبل المعركة وبعدها، بالإضافة إلى الفخر بالقبيلة، والاستغاثة بفارسها، وحالة القبيلة الاقتصادية، وحالهم في دائرة الحرب، وفتيان القبيلة، والحديث عن القبيلة بوصفها منتصرة وآسِرة، ورثاء القبيلة، وأمّا الفصل الثالث فجاء يصف العدو المحارب، من حيث هزيمته وأسره، ولقاء العدو.

انتهت هذه الدراسة بخاتمة جاء فيها أهمّ النتائج التي توصّلت إليها، كما ذُيّلت بثبت للمصادر والمراجع التي أفادت منها.

التمهيد:

الصورة الفنيّة

تُعدُّ الصّورة الفنيّة من أهمّ أدوات التّشكيل الشّعريّ التي يستخدمها الشّعراء في بناء قصائدهم، والتعبير عن مشاعرهم، وترتبط ارتباطًا متينًا بنفسيّة قائلها، كما أنّها تُعدّ من الركائز المهمّة في الشّعر –على مرّ العصور- بصفتها السّمة الرّئيسة التي تخلق الشعريّة.

الصورة لغة:

ومن هنا، وضحت الدراسة المعنى اللغوي لمصطلح الصّورة في المعاجم العربيّة، قديمها وحديثها، فقد جاء في تاج العروس في مادة (صَوَر) أي: الهيئة والصّفة، جمعها (صُوَر)، بضم ففتح، وتستعمل الصّورة بمعنى النّوع والصّفة[1]، وأتت في معجم الوجيز لتعني الشّكل وصورة المسألة والأمر[2]، وفي القاموس المحيط هي الصّورة بالضم صُور وصِور لتعني النّوع والصّفة[3]، وقد وردت هذه اللفظة في اللسان تحت مادة "صَوَر"، والجمع "صُوَر"، وقد صوَّره فتصوَّر "وتصوَّرت الشيء: توهمت صورته فتصوَّر لي، والتصاوير: التماثيل"[4]، أمّا في معجم الوسيط فهي "الشكل والتمثال المجسم، والصورة: المسألة أو الأمر، يقال: هذا الأمر على ثلاث صور وصورة الشيء ماهيته المجرّدة وخياله في الذهن والعقل"[5].

([1]) الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي هلالي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ج3، مادة (صور).

([2]) مذكور (إبراهيم)، المعجم الوجيز، الدار السندسية، مصر، 1980، ص373.

([3]) الفيروز أبادي (مجد الدين)، القاموس المحيط، المطبعة الحسينية المصريّة، مصر، ج2، 1344ه، مادة صور.

([4]) ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج4، (د.ت)، مادة (صور).

([5]) أنيس،ــ إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، دار السندسية، إسطنبول، 1989، مادة (صور).

وعلى هذا فالتصوير هو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فنيّ، فالتصوُّر إذن، عقليّ، أمّا التصوير فهو شكليّ " إنّ التصوُّر هو العلاقة بين الصورة والتصوير، وأداته الفكر فقط، وأمّا التصوير فأداته الفكر واللسان واللغة"[1].

إنّ الصورة الشعرية لا وجود لها في تراثنا القديم بالمفهوم المتداول الآن، وإن كان شعرنا القديم لا يخلو من ضروب التصوير، وقد كان يُحصر التصوير في مجالات البلاغة المختلفة، كالمجاز، والتشبيه، والاستعارة.

الصورة اصطلاحًا:

أ. الصورة عند القدماء:

حظيت الصورة الشعرية باهتمام القدماء، فأخذوا في مدحها والثناء عليها، في حين ميّزها (أرسطو) عن بقيّة الأساليب، بقوله: "ولكن أعظم الأساليب حقًا هو أسلوب الاستعارة"[2]، وفي نقدنا القديم، فإنَّ أوَّل منْ أشار إلى الصُّورة الجاحظُ في تناوله قضيتي اللّفظ والمعنى، في قوله:" فإنَّما الشّعرُ صناعةٌ، وضربٌ من النَّسجِ، وجنسٌ منَ التَّصويرِ"[3]، فيما يقرِّر عبدالقاهر الجرجاني" أنَّ سبيل الكلام سبيل التّصوير والصِّياغة، وأنَّ سبيل المعنى سبيل الشيء الذي يقع التّصوير والصّوغ فيه، كالفضّة والذّهب يُصاغ منهما خاتَم أو سِوار"[4].

ب. الصورة عند المحدثين

لقد توسّع المحدثون في مفهوم الصورة، بحيث أصبح يشكّل كلّ الأدوات التعبيرية، فخرجت من إطارها الضيّق إلى إطار أكثر اتساعا وشمولا في العصر الحديث، ويُعرّف الشاعر الفرنسي (بيار ريفاردي)، وهو من المدرسة الرومانتيكية،

([1]) مجلّة الرّسالة، مج2، السنة2، عدد94، 24/ 9/ 1934، ص1756، القاهرة.

([2]) طاليس (أرسطو)، فنّ الشعر، ترجمة محمد شكري عيّاد، دار الكتاب، العربي، القاهرة، 1967، ص128.

([3]) الجاحظ (عمرو بن بحر)، الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، ط2، 1965، ج3، ص355.

([4]) الجرجاني (عبدالقاهر)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة، ط3، 1992، ص132.

لفظة الصورة بأنّها "إبداع ذهني صرف، وهي لا يمكن أن تنبثق من المقارنة، وإنّما تنبثق من الجمع بين حقيقتين واقعتين تتفاوتان في البعد قلّة وكثرة، ولا يمكن إحداث صورة المقارنة بين حقيقتين واقعتين بعيدتين لم يَدْرك ما بينهما من علاقات سوى العقل"[1]، وترتبط الصورة بالخيال ارتباطًا وثيقًا، فبواسطة فاعلية الخيال ونشاطه " تنفذ الصورة إلى مخيّلة المتلقي فتنطبع فيها بشكل معيّن وهيئة مخصوصة، ناقلة إحساس الشاعر تجاه الأشياء، وانفعاله بها، وتفاعله معها"[2]، والصورة "واسطة الشعر وجوهرة، وكلّ قصيدة من القصائد وحدة كاملة، تنتظم في داخلها وحدات متعدّدة هي لَبنات بنائها العام، وكلّ لَبنة من هذه اللبنات تشكّل مع أخواتها الصورة الكليّة التي هي العمل الفنيّ نفسه"[3]، وهي كذلك "الشكل الفنيّ الذي تتخذه الألفاظ والعبارات ينظمها الشاعر في سياق بيانيّ خاص؛ ليعبّر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس، وغيرها من وسائل التعبير الفني... والألفاظ والعبارات هي مادّة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفنيّ أو يرسم بها صوره الشعريّة"[4].

وقد تكون الصورة الشعرية "شكلاً لغوياً تصوّرياً يضمن شعورا وفكرة وموقفا في آن معا، وتوجد مجموعة من الصور تعبّر عن شعور جمعي ورؤية متآلفة"[5].

([1]) وهبة (مجدي)، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص237.

([2]) عيكوس (الأخضر)، الخيال الشعري وعلاقته بالصورة الشعرية، مجلّة الآداب، عدد1، 1994، ص77.

([3]) اليافي (نعيم)، مقدّمة لدراسة الصورة الفنية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، 1982، ص39-40.

([4]) القط (عبدالقادر)، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، 1981، ص391.

([5]) الرفوع (خليل)، صورة الحرب في الشعر الجاهلي، مجلّة قطر للآداب، عدد 28، 2006، ص92.

ولا تتحقَّقُ الصُّورة الشّعريّة إلّا في إطار الانزياح التّركيبيّ، وتحويل المجرَّد إلى محسوس، وفيها تتجلّى قدرة الشَّاعر الإبداعيّة في خلق معانٍ جديدة، "فليست الصُّورة إلّا علاقة الشّيء ودَلَالته الصُّوريّة في الوعي"[1].

مفهوم الحرب

1.لغةً

اتفقت المعاجم اللغوية على تحديد تعريف لغوي للحرب[2]، وهي تعني "نقيض السِّلم، أنثى، وأصلها الصفة... وتصغيرها حُريب... وحكى ابن الأعرابيّ فيها التذكير؛ وأنشد:

وهو، إذا الحَرْبُ، هَفا عُقابُه،

كَرْهُ اللّقاءِ تلتظي حِرابُه

قال: والأعرف تأنيثها؛ وإنها حكاية ابن الأعرابي نادرة. قال: وعندي أنه حَمَله على معنى القتل، أو الهرج، وجمعها حُرُوب، ويقال: وقعت بينهم حربٌ. الأزهري: أنثوا الحرب؛ لأنهم ذهبوا بها المحاربة، وكذلك السِّلم والسَّلم يذهب بهما إلى المسالمة فتؤنّث"[3].

2. اصطلاحًا

سيطرت حالة الحرب على سلوك البشرية منذ فجر التاريخ، وهي ملازمة لوجود الإنسان في هذه الحياة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولم تختلف دوافع الحروب في الحاضر عن دوافع الحروب عند الإنسان غير المتحضر، فقد كانوا، سابقا، يحاربون لأجل الغنائم، أو إظهارا للشجاعة، أو وقاية، أو علاجا، أو إرضاء للغرور... والحرب خلاف طبيعة الإنسان؛ تفني الأفراد، وتهدم الديار، وتلتهم

([1]) هلال (محمد غنيمي)، النّقد الأدبيّ الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، 2005، ص411.

([2]) انظر: الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حمّاد)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987، ج1، ص108. وانظر: الفيروز أبادي (مجد الدين)، القاموس المحيط، ج1. ص73، مادة حرب.

([3]) ابن منظور، لسان العرب، مادة "حَرَبَ"، ص302-303.

الأموال، وتبعث على الخوف والاضطراب، و"الحرب على وجه العموم صراع بين دولتين أو أكثر، ويستخدم فيها المتصارعون قوّاتهم المسلحة؛ بقصد التغلّب على بعضهم بعضا، وفرض شروط الصلح على المغلوب كما يشاؤها الغالب"[1]، وقد تكون الحرب وسيلة لحسم الخلاف قسرا بعد تعثّر الوسائل السلميّة[2]، وتعدّد أسبابها ما بين اقتصادية، وماديّة كتحقيق النصر والغَلبة، وتسخير الشعوب المغلوبة، ويمكن أن تكون عادلة أو ظالمة، أو مشروعة أو غير مشروعة، ومع ذلك فإنّ " الحرب في ذاتها قبيحة؛ لما فيها من قتل النفوس والتخريب والتدمير"[3].

صورة الحرب

يقدّم الأدب العربي القديم صورا مشرقة من أدب الحرب، فكان الشعر العربي، منذ أقدم العصور، يُواكب المعارك والأيام والحروب، وكان للشعراء دور في المعارك لا يقلّ عن دور الفرسان فيها، وفي المقابل يكون وصف المعارك أكثر جلاء وتأثيرا إذا ما جاء من شعراء هم أنفسهم فرسان تلك المعارك، وقد جاء هذا الوصف دقيقا في كلّ صغيرة وكبيرة، من حيث دوافعها ومآسيها وحسناتها وسيئاتها.

عاشت القبائل العربية في الجاهلية حياة حربيّة؛ إذ اشتهر بين العرب جماعة من الشعراء الفرسان الذين ذاع صيتهم بين القبائل؛ لما ظهر منهم من شدّة وبأس في الحرب، ومهارة في القتال، إضافة لما كان لشعرهم من دور في المعارك، إذ "استمدّ الشعراء تجربتهم الفنيّة في تصوير الحرب من واقعهم، ولكنها انمازت عنه؛ لأنّها تحوّلت إلى تشكيل فنيّ مُدهش عبر سياقات لُغوية تأويليّة"[4]، أمثال: المهلهل بن ربيعة التغلبي، فارس حرب البسوس، وعامر بن الطفيل، فارس قيس، وخفاف بن ندبة، ودريد بن الصمة، والزبرقان بن بدر، وعروة بن الورد، وقيس بن زهير، والسليك بن السلكة، وعمرو بن معد يكرب، وغيرهم كثيرون.

([1]) سلطان (حامد)، التشريع الإسلامي والنظم القانونية الوضعيّة، الهيئة المصرية للكتاب، مج3، 1978، ص154.

([2]) الزحيلي (وهبة)، آثار الحرب، دار الفكر، دمشق، ط4، 1992، ص34.

([3]) الزحيلي، آثار الحرب، ص59.

([4]) الرفوع، صورة الحرب في الشعر الجاهلي، ص93.

وممّا يجدر ذكره والإشارة إليه، أنّ معظم نصوص الشعر الجاهلي التي جاءت لتقبّح صورة الحرب وتذمّها "قد جاءت على ألسنة الشعراء الفرسان الذين جرّبوا الحرب وخبروها، فضلا عن السادة الذين تبوّؤا مركزا اجتماعيا مهما في ذلك العصر، فشاركوا في التخطيط للحرب والتنظير لها"[1].

ومن الصور التي تتكرّر في الشعر الجاهلي واصفة حال الحرب صورة الناقة، وقد اقتنص منها الشعراء معظم صورهم الفنية، مع الفارق بينها وبين الحرب إلّا أنّ استدعاءها فنيا لأجل تكثيف الفكرة في خيال المتلقي؛ ليستجلي صورة الحرب ونتائجها، فالحرب ناقة تُلقح وتحمل وتلد، وفي هذا دلالة على قدرة من يروّض الحرب، ويذل عنفوانها، ويوجهها كما يريد، وهذا يقع على عاتق المحاربين الأشدّاء، ومن صور الناقة المستوحاة استدرار ضرع الناقة بحكمة في دلالة على الإمساك بزمام الحرب، وهي كذلك ناقة عوان؛ لتشي بشدّة الحرب، وأن أبطالها مدرّبون في وقائع سابقة، وفي سبيل رسم صورة كريهة ومخيفة للحرب، فإن الشعراء يتخذون من صورة تكشير الناقة عن أنيابها صورة لها، و من صورة بروكها على الأرض بثقلها؛ لتعني تحطّيم كلّ شيء، فلا ينجو منها أحد، وهي امرأة تُغري وتأخذ بألباب الأبطال، وتخدعهم للمواجهة، وهي أمّ تحمل وتنجب وتفطم وتطعم، وهي أخت، ومن كان أخوها فهو أقدر على الخروج من غمراتها، كما يصورها الشعراء بالنار في توسّع دائرتها، وفتكها وإحراقها لكلّ شيء، ويصورونها، أيضا، بالرحى التي تسحق الحياة، فلا يسلم من أذاها أحد، ولا أدلّ من سوء صورة الحرب وبشاعتها وذمّها إلّا عندما صورها الشعراء بالغول تلك الصورة الموحشة البشعة التي ارتسمت في مخيّلة العربي[2]

([1]) حمدان (كامل عبدربه)، الصورة البشعة للحرب في الشعر الجاهلي، مجلّة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان (3-4)، مج 6، 2007، ص13.

([2]) انظر: الرفوع، صورة الحرب في الشعر الجاهلي، ص94-111.

الفصل الأول

صورة المحارب

1.1 المحارب وصفاته:

تأخذ الحرب مكانها الواسع في تاريخنا العربي القديم والحديث، بل ربما يمكننا القول بأن الحرب لها مكانة عند الشعوب كافة، فليس هناك أمة في التاريخ لم تكن لها حروب ووقائع تفخر بها، وهو ما حصل في القبائل العربية، فقد كان للحرب أثر بالغ في صقل شخصية الشعراء، وربطهم بواقعهم الذي يعيشونه، فجعلت من الشعر بابا لميدان حربي، تذكر فيه الوقائع، وتسجل فيه الأحداث والحروب، وهذا ما بيّنه ابن سلام الجمحي حين ذكر دور الحرب التي خاضها مهلهل بن ربيعة فأفضت به إلى قول الشعر، يقول: " وَكَانَ أول من قصَّد القصائد وَذكر الوقائع المهلهل بن ربيعَة التغلبي فِي قتل أَخِيه كُلَيْب وَائِل قتلته بَنو شَيبَان وَكَانَ اسْم المهلهل عَديًّا وَإِنَّمَا سمى مهلهلا لهلهلة شعره كهلهلة الثَّوْب وَهُوَ اضطرابه واختلافه"[1].

والحرب ذاتها هي دافع من الدوافع التي دفعت بعض القبائل إلى انتحال الشعر؛ نظرا لاهتمامها في حفظ وقائعها وحروبها، ولتبرهن للآخرين من القبائل العربية دورها الحربي المشرف، فلما راجعت مثل هذه القبائل أشعارها وجدتها إما قد ضاعت، أو أنها قليلة إلى الحد الذي لا يمكن معه الاكتفاء بها لتسجل تاريخ تلك القبائل الحربي، فأخذت بعض القبائل بزيادة هذا الشعر الذي يوثق تاريخها، بصناعة أشعار جديدة، لتسجيل الأحداث الحربية التي مرّت بها تلك القبائل، الأمر الذي قاد بالضرورة إلى الانتحال[2].

يعني ذلك أن الحرب لها مكانة وأهمية في التاريخ العربي القديم، وتلك الأشعار التي لم تفارق دواوين الشعر العربي القديم تقودنا إلى الإحساس بأهمية الحرب في تراثنا العربي، وهذه الدراسة تركز بحديثها على عنصر مهم من عناصر

---

[1]. الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام (د.ت). طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة – السعودية، د.ط، ج: 1، ص: 39.

[2]. انظر: الجمحي. طبقات فحول الشعراء، ج: 1، ص: 46.

الحرب ألا وهو المحارب، فالمحارب له دور مهم في الحروب والمعارك إذ إن المحاربين، هم مشعلو تلك الحروب، ولولا وجودهم ما وقعت الحرب أصلاً.

تشتق كلمة "المحارب" في العربية من الجذر اللغوي "حَرَب"، وهي من الفعل المزيد "حارَبَ"، وتدل على معنى التشارك والتفاعل، فإن الزيادة في هذا الفعل تدل على معنى التحارب، والمحارب اسم فاعل من هذا الفعل، وهو اسم يطلق على المشارك في الحرب، فكل من يشارك فيها يقال له محارب، والحرب والمحارب اسمان[1].

فالمحارب هو المشارك في الحرب، وهو جزء من القتال، غير أن بعض المقاتلين عُرِف عنهم إدمان القتال، وتكرار المحاربة، فقد صارت الحرب لهم ديدناً وسبيلاً، ومثل هؤلاء لا يطلق عليهم اسم "محارب" فحسب، بل ثمة صيغة مبالغة تدل على كثرة قتالهم، وديمومة حربهم، إذ يقال لمثل هؤلاء المِحرَب، والمِحرَبة، والمِحْراب، يقال: رجل مِحرَب ومِحْراب، أي كثير القتال في الحرب[2].

والعرب لم تجعل شدة القتال، وصرامة الحرب، وكثرة النزال تذهب هكذا دون أن تجعل لصاحبها ميزة دون سواه من المقاتلين والمحاربين، بل جعلت صفة "المِحربة، والمِحرب" لصيقة بمن كانت الحرب حرفته، والقتال صنعته، فهذه الصفات تطلق على من كان شديد الحرب، كثير القتال، أي إنه صاحب حرب[3].

وثمة صفات يُعرف بها المحارب، ولا تُنكَر عليه، من بينها أنه يظهر عليه الغضب والعبوس، فيوصف المحارب بأنه عابس، وهذه الصفة لا تنكر في

---

1. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (1414هـ). لسان العرب، دار صادر، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 1، مادة حرب.
2. انظر: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (1987م). جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 275.
3. ابن سيده المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل (2000م). المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 312.

المحارب، وإنما هي معروفة فيه[1]، وربما عُرِف عن المحارب كذلك ضمره، فالمحارب ضامر،[2].

أما في حال الحرب، فإن المحارب يتصف بصفات البطولة، والشجاعة، والإقدام، غير أن هذه الصفات البطولية لا تمنع من وجود صفات أخرى في المحارب، مثل المروءة، والنجدة، فهذه الأخلاق الحسنة تمنح المحارب مكانة في نفوس مقابليه كما تمنحه إياها تلك الصفات البطولية التي عليه أن يتصف بها، فليس الأمر مقصوراً على الشجاعة فحسب، بل لا بد من أخلاق حميدة يتصف بها الفرسان كي يتمكنوا من الوصول إلى هذه المكانة من الفروسية، وفي هذه المعاني يقول الجاحظ: " والفارس ربما زاد في طول رمحه ليخبر عن فضل قوته، ويخبر عن قصر سيفه ليخبر عن فضل نجدته"[3].

وذلك كي يكون له الحضور المميز في ساحة الحرب، وتكون له المكانة الواضحة بين أقرانه من الأبطال الشجعان، والمحاربين الفرسان.

وإذا نظرنا إلى الشعر العربي نجده يصف المحارب بعدة أوصاف متنوعة ومتعددة، فقد أكثر الشعراء من وصف الفرسان والأبطال وهم يخوضون المعارك؛ دفاعا عن الشرف، وذودا عن الكرامة، وذلك لأنهم يؤمنون؛ "بأن الإقدام في الحرب لا ينقص عمر المتقــدمين، وأن الإحجــام عنها لا يزيد عمر المتأخرين، وبأن الذي

---

1. انظر: الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (1994م). الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: السيد أحمد صقر، وعبد الله المحارب، دار المعارف، ومكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 312.
2. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (1419هـ). الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، د.ط، ص: 393.
3. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (1423هـ). البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت ــ لبنان، ج: 3، ص: 18.

يطلب الموت توهب له الحياة، وأن المنية الحقة هـــي التي تكون في خضم المعركة لينال البطل بعدها شرف المعالي"[1]

وقد يستمدُّ الشاعر المحارب صفاته من صور الطبيعة المتعددة، فيشبه نفسه بالجبل، وهي صفات تفــوق صــفات البشر، فالقوة التي تسيطر على الجبال ليست قوة بسيطة، وهذه الصور تجعل من المحارب أقرب ما يكون إلى الإله "فآلهة الأساطير رجال تَجمَّع حولهم ضــباب الــزمن والخيال"[2] فكثير من الشعراء المحاربين ربطوا أنفسهم بالآلهة، لما يحمل الإله من قوة يعجز عنها البشر. ومثال ذلك قول عنترة بن شداد[3]:

خُلقِتُ من الجبالِ أشَدَّ قلباً وقَدْ تفنى الجِبالُ ولَستُ أَفنى

ويجب أن يكون الفارس المحارب عالماً بفنون الحــرب والقتــال، ليمكنه ذلك مــن الانتصار على أعدائه، فلا يسمى المحارب شجاعاً أو بطلاً إذا لم يكن ذا علمٍ واسعٍ، بصنوف القتال وألوانه، يقول عوف بن عطية[4]:

لَعَمْرُكَ إِنّني لأَخُو حِفاظٍ وفي يومِ الكريهةِ غَيْرُ غُمْرِ

---

1. القيسي، نوري حمودي،(1986)، شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري، ط1، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ص54
2. شكري، محمود عياد،(1971)، البطل في الأدب والأساطير، دار المعارف، القاهرة، ص77.
3. عنترة، (1983)، الديوان، شرح وتحقيق: محمد سعيد، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، ص299
4. الضبي، المفضل بن محمد،(د،ت)، المفضليات، تحقيق وشرح أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، بيروت، ط6، ص 328، وعوف بن عطية: هو عوف بن عطية بن الخَرِع، والخَرِع: يقال له عمرو بن عيش، بن عمرو بن وديعة، والخَرِع لقب جدِّه، وعوف شاعرٌ جاهلي إسلامي، له ديوان شعري قصير، ومفقود، عدَّه ابن سلام الجمحي أحد فحول الطبقة الثامنة، انظر الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني، ج 12، ص17، وانظر خزانة الأدب للبغدادي، ج6، ص370.

والفارس المحارب كان لزاماً عليه أن يحمي الذمار[1] ويدافع عن القبيلة وعن النساء والأطفال، فهذا الذمار مقدَّس لا يجرؤ أحد على الاقتراب منه، أو الاعتداء عليه، لأنَّ لعنة الإله البطل ستحلُّ عليه، وفي ذلك يقول جسَّاس بن مرة: [2]

نَحْمِي الذِّمَارَ وَنَحْمِي كُلَّ أَرْمَلَـــةٍ حَقًا وَنَدْفَعُ عَنْهَا مَنَ يُعَادِيْهَا

كثيرة هي الصفات التي يجب توافرها في الفارس المحارب، سواء أكانت تلك الصفات تصفه قبل المعركة مستعدًّا لها، أو في وسط المعركة يجالد الأعداء ويقاتلهم، أو بعد انتهائها، وفي هذا الفصل سينصبُّ الحديث حول صورة المحارب عند عمرو بن معد يكرب الزبيدي، والقعقاع بن عمرو التميمي.

2.1 عمرو بن معد يكرب محارباً:

ثمة مجموعة من الخصائص والصفات التي ظهرت لعمرو بن معد يكرب بوصفه محارباً بين المحاربين، وهذه الصفات تظهر لنا من خلال حديث عمرو عن نفسه في شعره، سواء أكان ذلك الحديث قبل المعركة، أم بعدها، أم في دائرة الحرب، ففي جميع هذه الأحوال ظهرت لنا شخصية عمرو المحاربة بصفاتها وخصائصها.

وعمرو شاعر بطل محارب شجاع، تعرفه الأبطال معرفة جيدة في جاهليته وإسلامه، كما أنه يعرف نفسه جيداً، إذ لم يكن يخشى أحداً في الجزيرة العربية، حيث صرّح عن ذلك بنفسه، فأخبر أنه كان يطوف الجزيرة لا يخاف إلا أبيضين

---

[1]. الذِّمار: كل ما يلزم الدفاع عنه وحمايته

[2]. شيخو، لويس، (د،ت)، شعراء النصرانية قبل الإسلام، ط3، دار المشرق، ص250، وجساس بن مرة: هو جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان البكري، أمير وفارس وشاعر عربي، كان يلقب بالحامي للجار، المانع للذِّمار، انظر، الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 113

وأسودين، أما الأبيضان: فربيعة بن زيد[1]، وعامر بن الطفيل[2]، وأما الأسودان: فعنترة العبسي، والسليك بن السلكة[3] [4].

1.2.1 نسبه:

ينسب عمرو بن معد يكرب إلى قبيلة زُبيد التي هي بطنٌ من بطون قبيلة مَذحِج، فيقول صاحب الأغاني:" هو عمرو بن معد يكرب بن عبدالله بن عمرو بن عصم، بن زبيد وهو منبه بن سلمة، بن مازن، بن ربيعة، بن صعب، بن سعد العشيرة، بن مَذحِج"[5].

---

1. ربيعة بن زيد: هو ربيعة بن مكدم، من قبيلة كنانة أحد فرسان العرب في الجاهلية، وصاحب الفرس اللطيم، اشتهر بلقب حامي الظعائن حياً وميِّتًا، وكان قومه بنو فراس من كنانة من أشجع، وأنجد أحياء العرب، انظر، علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج10، ص 32، وانظر، الجاحظ، البرصان و العرجان والعميان والحولان،ص377.
2. عامر بن الطفيل: وهو عامر بن الطفيل بن جعفر بن كلاب بن ربيعة، كان فارسا شجاعا اشتهر بالشدَّة والبأس، اشتهر بركوب الخيل له فرس يسمى المزنوق، كان معاديا للإسلام وللرسول، توفي بداء الطاعون، انظر ديوانه، ص 2
3. السليك بن السلكة: هو السُليك بن عُمير بن يثربي بن سنان السعدي التميمي. والسُلكة أمه، وهي أمة سوداء. يقال إنه كان أسود اللون أو قريباً من السواد. هو أحد شعراء الصعاليك، تقرب من الشنفري وتأبط شراً وعمرو بن برّاق، وكان من أشد رجال العرب وأشعرهم ومن أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمعالمها وأشدهم عدواً فلقب بالرئبال، مات السُليك بن السُلكة مقتولاً على يد أسد بن مدرك الخثعمي، انظر ديوانه، ص2-5
4. انظر: الشيباني، أبو عمرو (2001م). شرح المعلقات التسع، وهو منسوب للشيباني نسبة قد لا تصح، تحقيق: عبد المجيد همو، مؤسسة الإعلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ص: 214.
5. الأصفهاني، أبي فرج، الأغاني، تصحيح الأستاذ الشيخ أحمد الشنقيطي، مطبعة التقدُّم، القاهرة، ج14، ص 24

ووصفه الزركلي، بفارس اليمن، وبصاحب الغارات المذكورة، كان عصي النفس، أبيًّا يحمل قسوة الجاهلية[1]، فكان يقال فيه، فارس العرب جميعاً[2].

ويكنى عمرو بن معد يكرب بأبي ثور، فهذه التسمية تحمل الرفعة والعظمة بين قومه، فالثور هو السيد، فيدل ذلك على أنَّ عمراً كان سيداً في قومه[3].

وينتمي عمرو إلى أسرة حربية تعودت القتال والضرب، فله أخٌ يسمّى بعبدالله، قتله بنو مازن في إحدى المعارك بينهم[4]، وله أخت يقال لها: كَبْشَة[5]، كما ذكر صاحب الأغاني، أيضاً، أنَّ له أختاً اسمها ريحانة، كانت أمًّا لدريد بن الصِّمَّة[6].

2.2.1 **جاهليته**:

عاش عمرو بن معد يكرب حياة طويلة في الجاهلية، فكانت معظم حروبه وأشعاره في العصر الجاهلي. فقد خلَّد في شعره عدداً كبيرا من الأيام والمعارك التي خاضها مع قومه في العصر الجاهلي.

كان عمرو يُقدَّم على زيد الخيل في الشدّة والبأس[7].كما أنَّه اتصف بضخامة الجسد وطول القامة، حتى أن عمر بن الخطاب قال فيه:" الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمرًا"[8]

---

1. الزركلي، خير الدين بن محمد بن محمود الدمشقي، (2002)،الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، ج4،ص 123
2. الزركلي، الأعلام، ص124
3. التبريزي، الخطيب، تهذيب الألفاظ، تحقيق لويس شيخو، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، ج15، ص111.
4. الأصفهاني، الأغاني، ج15، ص 226.
5. الأصفهاني، الأغاني،ج15،ص 230.
6. الأصفهاني، الأغاني، ج10، ص12.
7. الأصفهاني، الأغاني، ج14،ص25
8. الأصفهاني، الأغاني، ج15، ص 213

كان عمرو في بداية حياته يسمى مائق بني زبيد[1]، بسبب خموله وكسله وكثرة أكله، ولم يكن بالفارس المعروف بين قومه، حتى أرادت قبيلة خثعم أن تحارب قومه، فقال لأخته أن تصنعَ له طعاما، ففعلت، فلما جاءتهم خثعم تطلب القتال، بقي في فراشه لم يخرج مع القوم، وينظر من بعيد إلى لواء أبيه إن نزل أم بعده، فلما رأى لواء أبيه قد سقط، قام من نومه وحمل سيفه الصَّمْصَامة، فأعاد لقومه سيطرتهم، وفازوا على عدوهم[2].

وبعد تلك المعركة مع قبيلة خثعم، حقق عمرو منزلة عالية ورفيعة بين قومه، فكان دوما على رأس قومه، في الحرب أو في السلم، ففي الحروب يكون هو القائد المدبِّر لهم، وفي السلم يكون هو على رأس الوفود، فيذكر صاحب العقد الفريد، أنَّ النعمان أمير الحيرة بعث عمراً مع وفد إلى كسرى ملك الفرس[3]،

سكن عمرو مع قومه زبيد أماكن عديدة، في اليمن، فكان منها، تَثْلِيث[4]، وبَلاغ[5].

3.2.1 إسلامه:

دخل عمرو بن معد يكرب الإسلام، وحارب مع جيوش المسلمين وأبلى بلاءً حسناً في معاركه الإسلامية.

وتختلف الروايات التي تذكر قصة إسلام عمرو، فيقول الطبري في تاريخه: إنَّه قَدِم على رأس وفد من قبيلة مُراد، إلى المدينة المنورة للقاء النبي-صلى الله عليه

---

1. الأصفهاني، الأغاني، ج 14، ص24
2. الأصفهاني، الأغاني، ج14، ص 24-25
3. الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبدربه، (1987)، العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص 4-6
4. تثليث: موضع من نجران إلى ناحية الشمال، انظر، البكري، معجم ما استعجم، عبدالله بن عبد العزيز بن محمد، ج1، ص305
5. بلاغ: بلد زبيد، وادٍ فيه نخل، يسكنه بنو مازن وبنو عُصم، انظر، الهمذاني، ابن الحانك، الحسن بن أحمد، صفة الجزيرة العربية، ص116

وسلم-[1]، وفي رواية الأغاني يذكر الأصفهاني: أنَّ عمراً قد أسلم في اليمن ولم يأتِ إلى النبي _صلَّى الله عليه وسلَّم_ [2]، ولكنَّ أكثر الروايات تذكر أنّ عمراً قد وفد على النبي- صلى الله عليه وسلم- على رأس قومه زبيد، في سنة تسع للهجرة[3].

ولكن بعد وفاة النبي- صلى الله عليه وسلم- ارتدَّ عمرو عن الإسلام، وقد يعود السبب في ذلك إلى قرب عهده بالإسلام، وقد تعود ردة عمرو لأسباب شخصية وتنافسية مع غيره، وهي أنَّ فروة بن المُسَيك[4] تولى قومه في الإسلام مما أثار حفيظة عمرو وغِيرَتَه، وجعلته يرتد بعد وفاة النبي. ولكنَّ أبا بكر الصديق- رضي الله عنه- وجه له خطابا حادا يدعوه للعودة إلى الإسلام، فرضخ لذلك.

وأسلوب حياة عمرو لم يتغير كثيرا بعد الإسلام، فبقي شارباً للخمر، وفي معركة القادسية أراد أن يأخذ الغنائم وحده، كما أنَّ عمر بن الخطَّاب بعث للنعمان بن مقرن أنَّ لا يولي عمرًا أيَّة أعمال.

جاهد عمرو مع قومه بني زبيد في معركة القادسية واليرموك، وأبلى بلاءً حسناً، وكان له شعرٌ يصف فعال جيش المسلمين في معركة القادسية.

4.2.1 وفاته:

وينقل ابن كثير روايات متعددة عن وفاته، وهي أنَّ عمراً بن معد يكرب مات في معركة القادسية.

---

1. انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت،ج2، ص538.
2. الأصفهاني، الأغاني، ج 14، 26-27
3. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام الحميري، السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت، ج2، ص583.
4. فروة بن المسيك: أبو عُمير فَرْوة بن مُسَيك بن الحارث بن سَلَمة بن الحارث بن ذويد بن مالك بن مُنَبه بن غُطَيف بن عبد اللّه بن ناجية بن مُرَاد المراديّ، ينتهي نسبه إلى قبيلة مَذْحِج. فارس و شاعرٌ، أسلم وحسن إسلامه. انظر، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (1994)، تحقيق:علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ج4، ص 343.

وفي رواية أخرى أنَّه مات في معركة نهاوندَ، وفي رواية ثالثة أنَّه مات عطشاً في قرية يقال لها رَوْذَة. وكل الروايات تلك تؤكد أنَّه مات في سنة إحدى وعشرين للهجرة[1].

3.1 عمرو قبل المعركة:

يطمح الفرسان الأبطال، والمقاتلون النجباء إلى تحقيق شيء من النصرة قبل مجيء الحرب، فتكون هذه النصرة سبيلاً لمواجهة الحروب التي قد يواجهونها، ومن هنا قالت العرب في أمثالها: التمس الأنصار قبل الحرب، يريدون أن على الإنسان أن يبحث عمن ينصره إذا وقعت الحرب يوماً ما[2].

1.3.1 عمرو مستعد للحرب:

لا يخرج الفارس المحارب للحرب دون أن يكون مستعدًّا لها، سواء أكان هذا الاستعداد بتحضير النفس وتهيئتها للقتال، أو بتجهيز السلاح وعدَّة الحرب، وعمرو كغيره من الفرسان يخرج للحرب مستعدًّا لها، مجهِّزا فرسه وسيفه ورمحه، مترقباً تلك المعركة.

1.1.3.1 الاستعداد النفسي:

ولعمرو بن معد يكرب الزبيدي كلمته قبل أن تنشب الحرب، وقبل أن يندفع في غمراتها، فيبين فيها ما يجيش في نفسه تلقاء الحرب والقتال، فمشهد الخيل التي تندفع نحو القتال والمعركة،مثل الجدول، وكأنَّه يريد أن يخبرنا أنَّ ذلك الجدول هو جدول الدماء التي سوف تسيل في المعركة، أو ربما كانت الحرب عنده مبعثٌ لحياة جديدة تمثل في منظر الخيول التي تشبه الماء، والماء رمز الحياة، ذلك المشهد يثير حفيظة عمرو، فتجيش نفسه لهذا القتال، ثم تستقر بعد أن ينظر فيه، ويتبين أمره،

---

[1]. ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص119.

[2]. ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي (1987م). لباب الآداب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة – مصر، الطبعة الثانية، ص: 444.

فمشهد الخيل المندفعة نحو القتال لا يستطيع المحارب مقاومته؛ لأنه يُذكي في نفسه البطولة والفروسية والإقدام، يقول عمرو واصفاً هذه الحالة التي تسبق الحرب[1]:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُوْراً كَأَنَّها جَداوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَرَّتِ[2]

فَجَاشَتْ إِليَّ النَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَرُدَّتْ على مَكْرُوْهِها فَاسْتَقَرَّتِ

ومن استعدادات عمرو النفسيَّة للحرب، نجد أنَّه يأرق لها، فلا يستطيع الرقاد، فصار النوم بالنسبة له حيَّة تنفث سمها في جسده، وتنشر في نفسه وبين أفكاره هول الحرب وما تجرُّه من مصائب، فأصبح من كثرة أرقه مثل الأرمد، فجعله ذلك الأرق والفكر في حيرة من أمره، أي يحاربُ بني مازن أم يرقد عن قتالهم؟. يقول[3]:

أَرِقْتُ وَأَمْسَيْتُ لا أَرْقُدُ وَسَاوَرَنِي المُوجِعُ الأَسوَدُ [4]

وَبِتُّ لِذِكْرَى بَنِي مَازِنٍ كَأَنَّني مُرْتَفِقٌ أَرْمَدُ [5]

أَأَغْزو رِجَالَ بَني مَازِنٍ بِبَطْنِ تَبَّالَةَ أَمْ أَرْقُدُ [6]

ويستمر الشاعر بوصف مشاعره حينما تظهر له بوادر الحرب، فهو إذا لقي الأعداء على ما ذكرنا وبيّنا، تجيش نفسه للقائهم، فهو يعدد بعض الأشخاص الذين يتوق لقتالهم ونزالهم في ساحة الوغى والحرب، وكأنَّه يوظف القطع الإرجاعي في شعره، باستذكار من يريد أنْ يقابل في الحرب، فإذا رآهم جاشت نفسه لهم، وتأهبت روحه للقائهم وقتالهم، ومن بينهم أبو شأس، وشأس ومالك يقول[7]:

أَجَاعِلَةٌ أُمُّ الثُّوَيْرِ خِزَايَةً عَلَيَّ فِرَارِي إِذْ لَقِيْتُ بِنِي عَبْسِ؟

---

1. الزبيدي، عمرو بن معد يكرب (1985م). عمرو بن معد يكرب الزبيدي حياته وشعره، جمع وتحقيق وتنسيق: مطاع الطرابيشي، منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق – سوريا، الطبعة الثانية، ص: 71.
2. زوراً: مائلة من كثرة الطعن، اسبطر: أسرع.
3. الزبيدي، ديوانه، ص 84
4. الأسود: الحية شديدة السُّم.
5. المرتفق: من يتكئ على مرفقه، أرمدُ: المصاب بعينه بالرمد.
6. تبَّالة: اسم وادٍ أو موضع.
7. الزبيدي. ديوانه، ص: 128.

لَقِيْتُ أَبَا شَأْسٍ وَشَأْساً وَمَالِكاً وَقَيْساً فَجَاشِتْ مِنْ لِقَائِهِمُ نَفْسِي

2.1.3.1 الاستعداد المادي للحرب:

أيُّ معركة أو حرب يخوضها الفارس المحارب لابد أن يجهز لها العدَّة الكاملة من سلاحٍ ومقاتلين، وعمرو لم يخرج إلى المعركة دون عدَّةٍ يحارب بها.

1.2.1.3.1 الخيل:

تعدّدت صور الخيل عند عمرو، بوصفها سلاحا رئيسا من أسلحة الحرب، فهو لايخرج للحرب دون أن يجهزَ فرسَه. فبعد تجهيز الدِّرع، يجهِّز الخيل الجرداء الضامر كرشاء البئر، من كثرة إقحامها في القتال والضرب، فيقول([1]):

أَعْدَدْتُ للحَرْبِ فَضْفاضَةً دِلَاصاً تَتَنَّى عَلى الرَّاهِشِ [2]

وَأَجْرَدَ مُطَّرِدا كَالرِّشاءِ وَسَيْفِ سَلَامَةٍ ذِيْ فَائِشِ [3]

ويصف عمرو حصانه الذي أعدَّه للحرب، بأنَّه قادرٌ على مطاردة أعدائه، في ساحة المعركة، يقول[4]:

أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثانِ مُطَّرِدا لَدُنِ الْمَهَزَّةِ غَيْرَ ذِي وَصْمِ[5]

ويركّز عمرو على صورة الخيل الجرداء، فهولا يصطحب معه إلى الحرب سوى تلك الخيل، لأنَّه يعرف أنها تجيد الكرَّ والفرَّ في أرض المعركة، فيشبه الخيل بالقداح، التي هي أيضا من أدوات الحرب، فكأنَّه لا يريد أن يخرج من أرض المعركة، ولايريد جلب أيَّة صورة تخرجه من ساحة القتال، فحتى الذين يركبون تلك الخيل هم من أبناء الحرب، يقول[6]:

---

[1]. الزبيدي. ديوانه، ص، 133.

[2]. الراهش: العصب التي في ظاهر الذراع.

[3]. أجرد: الخيل قصير الشعر، والضامر لكثرة القتال. سلامة ذي فائش: اسم وادٍ في اليمن.

[4]. الزبيدي. ديوانه، ص: 164

[5]. وَصَم: خالٍ من العيوب.

[6]. الزبيدي. ديوانه، ص: 77.

وَكَمْ مِنْ فِتْيَةٍ أَبْنَاءُ حَرْبٍ عَلَى جُرْدٍ ضَوَامِرَ كَالقِدَاحِ [1]

صَبَحْتُ بِهِمْ بُيُوْتَ بَنِي زِيَادٍ وَجُرْدُ الْخَيْلِ تَعْثُرُ بِالرِّمَاحِ

ويستخدم عمرو الخيل ليخبر بها أعداءه عن قوة بأسه وشجاعته في القتال، فهو الفارس الحامي، وهو من يقف ويدافع عن قومه إذا أحجموا عن القتال، فيقول[2]:

لَقَدْ عَلِمَتْ خَيْلُ الأَعَاجِمِ أَنَّنِي أَنَا الفَارِسُ الحَامِي إِذا النَّاسُ أَحْجَمُوا

ولا يختار عمرو من الخيل إلّا السريعة القوية، الطويلة، التي تتناسب مع ضخامة جسمه، ولها القدرة العالية على تحمل القتال والصبر في ساحات الحروب، يقول: [3]

أَعْدَدْتُ للحَدَثَانِ سَا بِغَةً وَعَدَّاءً عَلَنْدَى[4].

2.2.1.3.1 السيف:

وبعد أن يجهِّزَ عمرو خيله للمعركة، ينتقي السيف الذي سيحارب به، فيختار السيف الذي يقدُّ الأبدان، ذا الشُطب، ويفرِّق العدو من أمامه هلعاً وخوفا، فيقول[5]:

نَهْداً، وَذا شُطَبٍ يُقَ دُّ البِيضَ وَالأَبْدَانَ قَدّا[6].

وللسيف صور جميلة في شعر عمرو، فهو كغدير الماء يبعث الحياة في النفس، وكأنَّ الحرب عنده مولدُ حياة جديدة، ورمزٌ للبعث، وربما كان لتشبيه السيف بالغدير، دلالة أخرى وهي الدماء التي تسيل في الحرب فكانت مثل الغدير، فيقول[7]

---

1. القداح: السِّهام.
2. الزبيدي. ديوانه، ص: 196
3. الزبيدي، ديوانه، ص 80
4. سابغة: الدرع الواسعة الممتدة، عدّاً علندى:الفرس الطويلة العظيمة والغليظ الشديد.
5. الزبيدي، ديوانه، ص 80
6. شُطَب:طرائق السيف الذي سحب من غمده. القد: القطع طولا.
7. الزبيدي، ديوانه، ص 133

حُساماً تَرَاهُ كَمِثْلِ الْغَدِيْرِ عَلَيْهِ كَنَمْنَمَةِ النَّاقِشِ[1]

3.2.1.3.1 الرمح:

وبعد أن يجهز عمرو خيله وسيفه يصطحب سلاحا آخر إلى أرض المعركة، ألا وهو رمحه، فيخاطب عمرو عاذلته، ويبين لها أن عدته التي لا غنى له عنها إنما هي عدة الحرب، التي تتمثل بالبزة الحربية، والسلاح رمحاً كان أم غير ذلك، والحصان أو الفرس التي يمتطيها، وهذا الفرس لا بد له أن يكون سهل القياد، سلس التجاوب مع المحارب الذي يمتطيه، كي يكون له الأثر الأكبر في ساحة الحرب، وكأنني أجد عمراً يلخص استعدادات المحارب للحرب في بيت واحد، فذكر الدرع والرمح، والخيل، يقول[2]:

أَعَاذِلُ عُدَّتِي بَزِّي وَرُمْحِي وَكُلُّ مُقَلَّصٍ سَلِسِ الْقِيَادِ[3]

ويصف عمرو قيادته للقوم التي أعدَّت الرماح للحرب، رماحٌ كنوى القسب لا تتحطم أو تنكسرُ بسهولة، وما كانت تلك الرماح إلّا دليلا على صلابة عمرو وقومه في القتال، فهم لا ينهزمون بسهولة أمام أعدائهم، يقول[4]:

أَتَتْكَ زُبَيْدٌ بالرِماحِ كَأَنَّها نَوَى القَسْبِ، عمرو للقاءِ يقُودُها[5]

---

1. كنمنة الناقش: عليه أثرٌ من الكتابة، والنقش.
2. الزبيدي. ديوانه، ص: 110.
3. البزّة: المقصود بها الدرع، المقلص: صفة تطلق على الفرس طويل القوائم.
4. خريسات، محمد، عصام عقلة،(2012)، الفاصل بين الحقِّ والباطل في مفاخر قحطان واليمن، المؤلف مجهول، دار اليازوري العلمية، ص 194
5. نوى القسب: التمر اليابس يتفتت بالفم، وله نوى صلبة شديدة، والمقصود هنا أن رماح زبيد مثل نوى ذلك التمر لا تتكسر بسهولة لصلابة القوم المحاربين بها.

4.2.1.3.1 الدرع:

ومن الأمور التي نراها عند الشعراء المحاربين حرصهم على وصف أسلحتهم، والتغني بما لها من صفات، والحديث عن قوتها وصرامتها، فيصفون السيف، والرمح، والدرع، والسهام، وغيرها من أدوات الحرب[1].

فكما يهتم الفارس بالاستعدادات التي يواجه بها القوم نجده، أيضا، يهتم بما يحمي جسده، من ضربات السيوف، وطعنات الرماح، ومن العدة التي يعدُّها عمرو للقتال ليحميَ جسده بها الدرع، فهو يعدُّ درعاً فضفاضة، دلاصاً، يصفها بأنها تثني على الراهش، يقول[2]:

أَعْدَدْتُ للحَرْبِ فَضْفاضَةً دِلَاصاً تَثَنَّى عَلى الرَّاهِشِ[3]

ويصور عمرو درعه التي أعدها للحرب بأنها درع من صنع داود، ليدلل على غلاء ثمنها، وجودة صنعتها، فهو لا يبخل على الحرب ولا على الاستعداد لها فيجلب للحرب أجود السلاح وأفضله، فهذه الدرع هي من تحميه من الطعان والضرب في ساحة الوغى، يقول[4]:

وَمُفاضَةٍ كَالنَّهْيِ مُحْكَمَةٍ مِنْ صُنْعِ دَاودَ أَبِي سَلَمِ

3.1.3.1 الاستعداد البشري:

ويتمثل الاستعداد البشري للحرب، بجمع المقاتلين، وتنظيم الجيش، وإعداد المقاتلين بالسلاح.

---

[1]. ضيف، شوقي، (د.ت). تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة – مصر، ص: 205.

[2]. الزبيدي. ديوانه، ص: 133.

[3]. الراهش: العصب التي في ظاهر الذراع.

[4]. الزبيدي. ديوانه، ص:

وبما أنَّ عمراً كان فارس قومه وقائدهم، كانت هذه المهمة من نصيبه، فنجده يجمع المقاتلين ليغيرَ بهم على أعدائه، فهو يهتف في عصبة من قومه يطلب منها أن تكرَّ في الحرب، يقول[1]:

هَتَفْتُ فَجاءَتْ مِنْ زُبَيْدٍ عِصَابَةٌ إِذا طَرَدَتْ فَاءَتْ قَرِيْباً فَكَرَّتِ

ويركز عمرو في استعداده للحرب، على جلب المحاربين الفتية، فللفتوة دورها الرئيسي في سير المعركة، فالفتيان يتميزون بالسرعة وخفة الحركة، كما يتميزون بالبنية الجسميَّة القويَّة، فهو لا يصطحب إلّا الفتيان وليس أيُّ فتيان بل لابدَّ أن يكونوا من أبناء الحرب، وكلمة أبناء، دليل على أن هؤلاء المقاتلين قد تربوا في ساحات القتال، وترعرعوا في حومة الوغى، فرضعوا من جداول الحروب، وأكلوا من رحاها التي تدور، مصورا الحرب بالأم التي ترضعهم وتفطمهم، وتطعمهم، يقول:[2]:

وَكَمْ مِنْ فِتْيَةٍ أَبْناءُ حَرْبٍ عَلى جُرْدٍ ضَوَامِرَ كَالقِدَاحِ

ويركز عمرو على صورة الفتيان الذين يَنْتطُون الخيل الجرد، راسما صورة حركية لهم وهي طرادهم للعدو، كما أنَّه لا يغفل توقيت تلك المعركة التي كانت قبل شروق الشمس، وبعيدا عن واقع المعركة، نجد أنَّ المرد شبابٌ في مقتبل العمر كذلك الشمس عند شروقها تكون بداية ليوم جديد وبعثاً آخر، فكأنَّ عمرو يركِّز على أنَّ الحرب إنْ كانت في مقتبل عمرها هي رمزٌ للبعث ولنشر الحياة من جديد. يقول[3]:

وَمُرْدٍ على جُرْدٍ شَهِدْتُ طِرَادَهَا قُبَيْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَو حين ذَرَّتِ[4]

---

1. الزبيدي. ديوانه، ص: 72.
2. الزبيدي. ديوانه، ص: 77.
3. الزبيدي، ديوانه، ص70-71
4. مرد: هو الشاب الذي نبت شاربه ولم تنبت لحيته، جرد: الفرس القصير الشعر وذلك من علامات الكرم.

وقد يكون إعداد الفتية للحرب تهديداً للعدو، فهو يتوعد بني عبد المدان بفتيانٍ يلبون نداء الحرب، يضربون بالسيوف اليمانية، ويقطعون دابر كلِّ من يواجههم، يقول[1]:

وَإِنْ لَا يُذْهِبُ الحَدَثَانُ نَفْسِي أَزُرْكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ المُدَانِ [2]
بِفِتْيَانٍ إِذَا فَزِعُوا تَرَدُّوا بِكُلِّ مُهَنَّدٍ عَضْبٍ يَمَانِ [3]

4.1 لماذا يحارب ؟

لقد كانت الحرب الخيار الأصعب الذي يلجأ العربي إليه، وكان من أول أسباب الحرب عند العربي هو دفع الظلم عن نفسه وعن قومه، أو من يستجير به، فهذا عنترة العبسي يرفض الظلم ويأنف من الذل والهوان فيقول[4]:

أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَمِلْتُ فَإِنَّنِي سَمْحُ مُخَالَقَتِي إِذَا لَمْ أُظْلَمِ
فَإِذَا ظُلِمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِيَ بَاسِلٌ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعْمِ العَلْقَمِ

ومن الأمور التي تدفع المحارب إلى خوض غمار الحرب، إصرار العدو على إشعال نارها، إمّا عدواناً منه وظلما، أو طلباً للثأر.

ورغم أنَّ الشعراء وصفوا الحرب، بالشَّر الكبير، وبأنّها كريهة عندهم، ومجلبة للدمار والخراب، فكان لزاماً عليهم الاشتراك في الحرب، فهم جزء من القبيلة المحاربة، وتلبية نداء القبيلة واجب ضروري. فكان اشتراكه في الحرب دفعا للظلم والجور عن القبيلة.

وربما يكون اشتراك المحارب في الحرب، نجدة لمن طلب الغوث، فيهرع لتلبية نداء المستغيث.

---

1. الزبيدي، ديوانه، ص177
2. بني عبد المدان: من بني الحارث بن كعب، يردُّون في أصولهم إلى قبيلة مَذحج، انظر الديوان، ص177
3. فزعوا: أغاثوا من استغاث، سيفٌ عَضَب: سيفٌ قاطع.
4. العبسي، شرح الديوان، ص 205

وربما يكون قتاله رفضاً لواقعٍ يعيشه، فيبحثُ من خلال الحرب عن حياة أفضل، كما هو الحال عند الصعاليك.

وقد يعود اشتراك المحارب في الحرب؛ لأنَّه يرى في نفسه القائد الذي لابدَّ من وجوده في ساحات المعارك، بل قد يتعدى مرحلة القائد؛ ليكون الآلهة التي تنشب الحروب بأمرٍ منها، وتخمدها بأمرٍ منها، ليجعل من نفسه أسطورة حياة وبعث، فينشر الحياة متى يريد، ويجلب الموت والدمار والخراب متى يريد.

وعمرو كغيره من الفرسان الأبطال، كانت تلك الدوافع، هي المحرك الرئيس، لإثارة نار الحرب عنده، فهو يلبي استغاثة القبيلة، وهو كذلك مشعل الحرب ومطفئ نارها، فمن باب إغاثة القوم نجد قلبه يصدع لإغاثة عصبة من بني مَذحِج طلبوا منه أن يغيثَهم، فما كان منه إلا أن لبَّى النداء واستجاب لطلبهم، وقد تكون تلك الاستجابة لأنَّه يرى في نفسه القدرة على الغوث، فهو يصنع من نفسه بطلا أسطوريا، خرق به نظام البشريَّة، ليتحول إلى آلهة يتوجه النَّاس لها بالطلب والرجاء والدعاء، ومما يدلل على ذلك أنَّهم توجهوا إليه يطلبونه المال والرزق، فيقول([1]):

أَلَمْ تَرَنَي إِذْ ضَمَّنِي الْبَلَدُ الْقَفْرُ سَمِعْتُ نِداءً يَصْدَعُ الْقَلْبَ يَا عَمْرُو
أَغِثْنا فَإِنَّا عُصْبَةٌ مَذْحَجِيَّةٌ نُنَاطُ عَلَى وَفْرٍ وَلَيْسَ لَنَا وَفْرُ[2]

ويركز عمرو على أنَّه المغيث للقوم والمجير لهم، من هول العدو وهول فعاله، فأجار طفيلاً حين طلب منه ذلك، ومبدأ الإجارة كان ربما لرؤيته نفسه أنَّه من يجير فقط، ففي الدين لا يستجير الإنسان إلّا بربه، أو بآلهة يعبدها، فكانت استجارة الطفيل، هي توجه لإله وليست لبشر، كما يرى عمرو ذلك، والدليل على ذلك أنَّ من صفات الآلهة العفو والمغفرة، فقد عفا عمرو عن الذي اعتدى عليه بعد أن استجار به، يقول[3]:

---

[1]. الزبيدي. ديوانه، ص 119.

[2]. الوفر: الوفر من المال والمتاع الكثير.

[3]. الزبيدي، ديوانه، ص 152

هَلَّا حَمَيْتَ طُفَيْلاً حِيْنَ طَافَ به مِنَّا حُمَاةٌ وسُمْرُ الخَطِّ تَخْتَلِفُ [1]

لمَّا اسْتَجَارَ ورَأْسُ الرُّمحِ مُعْتَدِلٌ عَفَوْتُ عَنْهُ و بَعْضُ العَفْوِ لي شَرَفُ

ويتضح مما سبق أنَّ الدوافع التي جعلت عمرو يشارك في الحرب، إغاثة الملهوف، وحماية القبيلة وسمعتها، ورفعا للظلم والعدوان. ولكي يصنع لنفسه مكانا عاليا، يرقى به ليكون في درجة إله يغفر ويصفح عمن استجار به، ويغضب ويدمِّر بقوته الخارقة من اعتدى عليه.

والسؤال هنا هل الدوافع التي دفعت عمرو للقتال قبل الإسلام هي نفسها التي دفعته للقتال بعد الإسلام؟ أم أنَّ دخول عمرو للإسلام غيَّر شيئا من دوافعه الحربية؟ وهل صار يحارب من أجل إعلاء كلمة الدِّين فقط؟

لقد أشار البحث فيما سبق أنَّ عمراً بن معد يكرب بقي بعد الإسلام شارباً للخمر، معتدياً على غنائم المعارك، كما فعل بمعركة القادسيّة، وبأنَّ الخليفة عمر بن الخطاب لم يثق بأنْ يوليَه شيئاً من أمور جيش المسلمين وهذا ما جعله يبعث به للنعمان بن مقرن.

كما أنَّ ردَّة عمرو ورجوعه عن الإسلام كشفت شيئاً من هذا الجانب، فهو حتّى بعد الإسلام كان طالبا للسيادة على قبيلته، يرغب بالحكم، وما كانت ردَّته إلا اعتراضا على تولية فروة بن المسيك، شؤون قبيلته، فشعر عمرو هنا بنوع من التهميش والإقصاء، فأصبحت تجول في خاطره أيام الجاهلية، وكيف كان سيد قومه، وفارسهم، ومغيثهم، ومحرر أسراهم، ليأتيَ الإسلام ويأخذَ كلّ تلك الميزات التي كان يتمتع بها عمرو، مما أثار في نفسه ثورة على ذلك.

وربما حداثة إسلام عمرو هي من دفعته إلى أن يتمسك بالقبيلة الجاهليَّة، فهو لم يعتد بعد على الولاء لأحد، غير ولاء القبيلة والانتماء لها، ولم يؤمن بأنَّ هناك رابطة قد تحل مكان رابطة القبيلة، فقد بقي عمرو ينظر إلى الرابط الديني على أساس أنَّه رابط قبلي، وهو كذلك بقي يحارب لأنَّ نداء القبيلة الجديدة والاستغاثة به مازال موجودا كما يرى، فها هو يصبر على يوم القادسيَّة، لأنه يرى في نفسه من

---

[1]. الطفيل: هو الطفيل بن مالك والد عامر بن الطفيل، انظر ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ص 152

يُعَلِّم الناس الصبر، فهو الفارس البطل الذي يتحمل هول المعركة وبقية من معه لم يصبروا على ذلك، ليعود إلى إبراز عنصر (الأنا) لديه، فهو المعلم وهو القائد وهو الصبور على الشدائد، وهو من يزرع تلك الصفات في نفوس من معه فيقول[1]:

صَبَرْتُ لِأَهْلِ القَادِسِيَّةِ مُعْلِماً وَمِثْلِي إِذا لَمْ يَصْبِرِ النَّاسُ يَصْبِرُ

لنجد أن الإسلام لم يستطع أن يغيِّرَ من دوافع عمرو الحربية، بل بقيت روح القبيلة لديه، وبقي معها الفخر بالنفس، والاستغناء عن الآخر.

5.1 عمرو في دائرة المعركة:

يحاول المحارب دوماً رسم صورته القتالية في أحوالها كافة، سواء أكان ذلك في حومة الوغى، أم بعدها، وصورة المحارب أثناء المعركة لها أهمية بالغة في الوصول إلى شخصيته الحربية، فهذه الصورة تمثل نموذجاً لما لديه من قدرات قتالية، ومشاهد حربية لا غنى عنها في سبيل تحقيق الذات لدى هذا المحارب أو ذاك.

والشاعر المحارب هو من يستطيع أن يرسم بكلماته لوحات شعريَّة، تمثل الصور الحربية كافة، سواء أكانت حركيَّة، أم جسديَّة،أم صوراً لسلاحه داخل المعركة وكيف تعامل معه، فمشاهد الحرب التي أمام عينيه، تجعل لسانه ينطق بمختلف تلك الصور، فمناظر القتل، وحركة الخيل، وانطلاق السِّهام، وصليل السيوف، وطعان الرِّماح، كلها دوافع لرسم مشاهدَ واقعيَّة خرجت من تحت رحى الحرب، ومن بين نيرانها.

ولم يغفل عمرو تلك المشاهد والصور بوصفه فارسا بطلا وشاعرا مجيدا، يحسن القول والقتال.

1.5.1 الصور الحركيَّة:

من أجمل الصور التي نقلها عمرو لنا الصور الحركيَّة من داخل أرض المعركة، وخاصة صور الخيل والسيوف والرماح.

---

[1]. الزبيدي. ديوانه، ص: 190

1.1.5.1 صورة الخيل في المعركة:

لا يريد عمرو الخروج من بوابة الحرب، فهو يرسم صورة للخيل تتعثَّر برماح الحرب، فانتزع صورة للحرب من قلب ساحتها، فحركة الخيل أصبحت صعبة لكثرة تطاير الرماح، وكذلك لكثرة الطعن والقتل، وربما كان القصد أنَّ الخيل تعثر برماح الأرض أي فرسانها. يقول[1]:

صَبَحْتُ بِهِمْ بُيُوْتَ بَنِي زِيَادٍ وَجُرْدُ الْخَيْلِ تَعْثُرُ بِالرِّمَاحِ

ومن الصور الحركيَّة التي يرسمها عمرو للخيل، صورة مطاردة العدو داخل أرض المعركة، فهو يُكْرِه خيله على مطاردة العدو، وكراهية الخيل للمطاردة لم تكن من فراغ، بل بسبب الدَّم الذي أصبح يغطي جسدها، لكثرة الطعن والقتل، فهذا الدّم هو دم العدو المقتول والمطعون، وربما يكون دم صاحبها، ولكنَّه ينطلق بها في أرض المعركة بحركة تشبه انطلاقة تيس الرَّبل، أي بسرعة وخفة، ويجلب عمرو صورة للخيل من الطبيعة فيشبهها بطائر الحدأ لسرعتها، وبتيس الربل لخفته في الركض. فيقول[2]:

بِسَاهِمَةٍ خُضِبْنَ بِجَادِيَاتٍ سَوَابِقُهُنَّ كَالْحَدأِ الشِّحَاحِ [3]

شَهِدْتُ طِرَادَهُ بِأَقَبَّ نَهْدٍ كَتَيْسِ الرَّبْلِ مُعْتَدِلٍ وَقَاحِ [4]

ويصور لنا عمرو مهره الذي يمتطيه في ساحة الحرب، بأنه مهر طائع لصاحبه، فهو يقحمه في ساحة الحرب دون أن يلقي بالاً لما قد يؤوب به هذا المهر من إصابات، فهو لشدة اقتحامه لساحة الحرب لا تعود قوائمه ظاهرة للعيان، فيظن الناظر إليه من بعيد أنه قد عُقِر، فصار مهره كالشبح الذي لا يُرى، يقول[5]:

وَأَقْحَمْتُ مُهْرِي حِيْنَ صَادَفْتُ غُرَّةً عَلَى الطَّفِ حَتَّى قِيْلَ قَدْ عُقِرَ المُهْرُ

---

1. الزبيدي. ديوانه، ص: 77.
2. الزبيدي. ديوانه، ص: 76.
3. بساهمة: الخيل المكروهة على الجري، الجاديات: ما لصق بالجسد من الدم، سوابقهنَّ: أقدامهنَّ، الحدأ: نوع من الطيور، الشِّحاح: النحيل.
4. الأقب: الضامر، وقاح: صلب.
5. الزبيدي. ديوانه، ص: 119.

2.1.5.1 صورة الرماح في المعركة:

كما رسم عمرو صوراً حركيَّة للخيل من أرض المعركة يرسم كذلك صوراً للرماح، فيركز الشاعر في حديثه على وصف الطعن والضرب في قتال الأعداء، على صورة الرماح وهي تتحرك للقتل، فقد بددت الأعداء وفرقتهم، جاعلا منها إنساناً يُفرِّق ويجمِّع، يقول[1]:

وَطَاعَنْتُهُمْ بِالرُّمْحِ حَتَّى تَبَدَّدُوا وَضَارَبْتُهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى تَكَسَّرُوا

ويرسم عمرو صورة للرماح التي تنثني في أرض المعركة، وما كان انثناؤها إلا من وقع القتال، والرماح التي تنثني هي رماح أعدائه، إشارة منه لضعف القوم وهوانهم، فهم يلاقون أسداً متلفعا بلبدته، لا تؤثر فيه رماحهم، وفي هذا المشهد نجد أنَّ عمراً هو الأسد وليس معادلاً له أو صورة عنه، يقول عمرو[2]:

تَرُدُّ الرُّمْحَ مُنْثَنِيَ السِّـــ ـنان عَوَائِراً قَصِدُهْ [3]

فَلَوْ لَاقَيْتَنِي لَلَقِيْـــ ـتَ لَيْثاً فَوْقَهُ لِبَدُهْ [4]

ويهتزُّ رمح عمرو بلقاء العدو، وكأنَّه يجعل من هذا الاهتزاز نغما موسيقيا جميلا يَطْرِبُ الآذان بسماعه، وهي نغمة الفوز بالمعركة والحرب، وربما يكون نغمة حزينة بائسة يائسة؛ لأنَّ في اهتزاز الرمح موتاً للأبطال، وهلاكاً للفرسان، يقول[5]:

وَهُزَّ السَّمْهَرِيُّ عَلى المَذَاكِي مُجَنَّبَتَيْنِ بالأَبْطَالِ تُرْدِي[6]

---

[1]. الزبيدي. ديوانه، ص: 190.

[2]. عوائر: متطايرة، قصده: مكسورة الأجزاء.

[3]. لبده: ما على كتف الفرس من شعر.

[4]. الزبيدي. ديوانه، ص: 88 – 89.

[5]. الزبيدي. ديوانه، ص: 96.

[6]. السَّمهري: الرمح الصلب، المذاكي: الخيل صاحبة القروح، مجنَّبتين: ميمنة الجيش وميسرته.

وأصبحت الرماح المتكسرة في أرض المعركة، كهشيم الشجر، لتزيد وقود الحرب، وتشعلها بقوَّة أكثر، يقول[1]

وَمَنْزِلَةٌ فِيَها العَوالي كَأَنَّها هَشِيْمُ شِجَارٍ كَسَّرَتْهَا الحَوَاطِب

3.1.5.1 صورة السيف في المعركة:

للسيف صورٌ عديدة تنبض بها ساحات المعارك، فصوت السيوف له الوقع الكبير في نفوس المحاربين، وقوة طعنها وقتلها، تدبُّ الرعب في قلوب الأعداء، حتى مسمياتها له أثر كبير في نفس المحارب.

فيرسم عمرو مشهدا لاستلال السيف الهندي من غمده، فهو لا يستخدم إلا السيوف الهندية لغلاء ثمنها، ولقوتها في الطعن، وحدتها في القتل، ولكنَّ هذه السيوف في أيدي محاربيه مثل الورق الذي يلعب به الصبية الصغار، دليل على قوة محاربية الجسديَّة، وربما تكون إشارة بأنَّ الموت أصبح بمثابة اللعبة التي يلهون بها، يقول[2]:

وَسُلَّتْ سُيُوْفُ الهِنْدُ مِنَّا كَأَنَّهَا مَخَارِيقُ نَالَتْهَا أَكُفٌّ لَواعِبُ

ويواصل عمرو رسم صورة السيف الهندي الذي سُلّ من غمدهِ، ليحارب به، فاستلال السيف من غمده، مشهد حركي لا يكون إلا في ساحة الحرب ومن أجلها، يقول[3]:

وَعُرِيٍّ بالأَكُفِّ مُهَنَّداتٌ وسُلّ حُسَامُها من كُلِّ غِمْدِ

ولا يُطرِب عمراً إلا صوت السيوف التي تضرب الخوذ، فلها رنين كرنين غناء أهل العرس عندما تُزفُّ أبكار الصبايا، وحالة الطرب هذه لابدَّ لها من ساحة للمعركة كي تكتمل، وفعلا كان له ذلك فقد بقي في أرض المعارك، كما بقيت شمط اليهود في الكنائس، يقول[4]:

---

[1]. الزبيدي. ديوانه، ص: 61

[2]. الزبيدي. ديوانه، ص: 61

[3]. الزبيدي. ديوانه، ص: 96

[4]. الزبيدي، ديوانه، ص 126- 127.

عَمَرْتُ مَجَالَ الخَيْلِ بِالبِيضِ والقَنَا كَمَا عَمَرَتْ شُمْطُ اليَهُودِ الكَنَائِسَا[1]

وَنَسْمَعُ للهِنْدِيِّ في البَيْضِ رَنَّةً كَرَنَّةِ أَبْكَارٍ زُفِفْنَ عَرَائِسَا [2]

ويركز عمرو على أنَّ السيف ما كان إلا للضرب والطعن، فقد خُلِقَ من أجل تلك الحركات التي تصدر عنه، ومن أجل تلك الأصوات التي يتلذذ الفارس بسماعها، فهو ذا يوجه سيفه إلى قلوب الأعداء مجمع الضغن والحقد لديهم، يقول[3]:

الضَّارِبِيْنَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مِخْذَمٍ والطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الأَضْغَانِ

2.5.1 **الصور الجسديَّة**:

لابدَّ للفارس المحارب أن يتميز بصفات جسديَّة، تمكنه من خوض المعارك والحروب، فإضافة لكونه صاحب بنية جسمية قويَّة، يجب أن يكون خفيف الحركة، سريعاً في أرض المعركة، يُحسن التحكم بفرسه، والإمساك برمحه وسيفه، ولابدَّ أن يكون صائبَ التسديد بالسهم والرمح، له نظرة ثاقبة تكشف أرجاء المعركة وساحتها، يمتلك القدرة على التخطيط للحرب وهي مشتعلة.

وعمرو لا تنقصه تلك الصفات، بل إنَّ الباحثين يجعلون من عمرو مثالاً لتلك الصفات، فبالنسبة لديهم من تتوافر به صفات عمرو، فهو الفارس المحارب البطل.

1.2.5.1 **كارًّا في المعركة**:

ويمثل لنا الشاعرهذا المشهد، بأن شبه نفسه بالكوكب وسط السماء، فهو وسط الكتيبة مثل الكوكب في وسط السماء، أي أنه ظاهر للعيان، ماثل أمام الأعداء، لا يختبئ هنا وهناك، بل هو في مرأى أعينهم، ومن جهة أخرى فإنه معروف لديهم كالكوكب وسط السماء، كما يصور نفسه في ساحة الحرب وقد امتطى حصانه،

---

[1]. شُمْط: جمع أشمط، وهو من خالط البياض سواد شعره.

[2]. البَيْض: جمع بيضه، وهي الخوذة.

[3]. الزبيدي، ديوانه، ص 126- 127.

وحصانه يسير به وسط معمعة الحرب، يكرُّ على عدوه، راسما للخيل مشهدا وهي تعطف به في ساحة القتال، يقول[1]:

لَمَّا رَأَوْني فِي الكَتِيْفةِ مُقْبِلاً وَسْطَ الْكَتِيْبَةِ مِثْلَ ضَوْءِ الْكَوْكَبِ[2]

يَخْتَبُّ بِيَ الْعَطَّافُ[3] حَوْلَ بُيُوْتِهِمْ لَيْسَتْ عَدَاوَتُنَا كَبَرْقِ الْخُلَّبِ [4]

ولا يقف الأمر عند الفروسية والبطولة والشجاعة، بل لا بد للفارس أن يكون سريعاً في ساحة الحرب، يجيد الاستدارة على عدوه، ويتقن فنون التحايل عليه، إذ لا بد له من هذه الصفات الفروسية التي تزيد في قوته وشجاعته ومكانته الحربية، فيصور نفسه بالنعامة التي تفرُّ من عدوها من حيث سرعة فرارها، فهو في أرض المعركة سريع مثلها، يقول[5]:

لمَّا وَقَعْنا فِي التَّنَازلِ خَفَفْتُ مِثْلَ النَّعَامِ مَخَافَةً لِلأَشْقَرِ

ويبين الشاعر أن ما يجري في المعارك ما هو إلا على سبيل التكافؤ بين الفريقين، فكما أن هذا الفريق يتقدم للحرب، ويحاول أن يخدع الفريق الآخر، فكذلك الأمر بينهما، فليس من أحد يعاب عليه الغدر في مثل هذه الحالات، ثم أنَّ الطعان الذي ثار بينهم إنما هو طعان بمثابة النار الملتهبة، والحريق العظيم، بل قد يعد نفسه فريقا بحد ذاته، فيواجه الأعداء بمفرده ويقف في وجههم وحده، يقول[6]:

غَدَرْتُم غَدْرةً وَغَدَرْتُ أُخْرى فَمَا إِنْ بَيْنَنا أَبَداً يَعَاطِ

بِطَعْنٍ كَالْحَرِيْقِ إِذا الْتَقَيْنا وَضَرْبٍ الْمَشْرَفِيَّةِ فِي الْغُطاطِ[7]

---

1. الزبيدي. ديوانه، ص: 67.
2. الكتيفة: حديدة طويلة وعريضة، فهي كالصحيفة.
3. العطاف: السيف، وهو مأخوذ من الرداء.
4. البرق الخلب: هو البرق الذي لا غيث فيه ولا مطر، وإنما سُمي بذلك لأنه برق خادع، فكأنه يخدع الناظر إليه فيظن أن فيه مطراً.
5. الزبيدي. ديوانه، ص: 120.
6. الزبيدي. ديوانه، ص: 137.
7. الغطاط: نوع من الطيور، قيل هي من القطا، وهو تشبيه دارج لمن يلتقون بالحرب بأسراب هذه القطا.

ومن صور كرِّه في المعركة أنَه يطاعن الأعداء، ويغشى البيض والأسل الحِرار، صانعا من نفسه أسداً لا يمكن أن يهرب من عدوه أو يفر، يكرُّ عليهم بمهره يحمي ذمار قومه، يقول[1]:

أُطَاعِنُ دُونَكَ الأَعْدَاءَ شَزْراً وَأَغْشَى البِيْضَ والأَسَلَ الحِرَارَا[2]
بِبَابِ القَادِسِيَّةِ مُسْتَمِيتاً كَلَيْثِ أَرِيكَةٍ يَأْبَى الفِرَارَا [3]
أَكُرُّ عَلَيْهِم مُهْرِي وَأَحْمِي إِذَا كَرِهُوا الحَقَائِقَ والذِّمارَا [4]

2.2.5.1 **نحول الجسد**:

ومما كان يميز الفارس المحارب نحول جسده وضموره، ليجعل من حركته خفيفة سهلة في الانطلاق لمواجهة العدو.

فيبدع الشاعر في رسم صورته التي يبديها لنا في ساحة الحرب، حتى إنه يجعل من ساحة الحرب سبباً في نحول جسمه، وتقرح عاتقه الذي يحمل فوقه السيف، فإن كثرة القتال في المعارك تورثه هذا النحول وهذه التقرحات التي تظهر في كتفيه، غير أن هذه الصفات الحربية لا تمنعه من مشاركة الأبطال في المعارك الحربية، يقول[5]:

مَعَ الْأَبْطالِ حتَّى سُلَّ جِسْمي وَأَقْرحَ عَاتِقِي حَمْلُ النِّجَادِ[6]

3.5.1 **الحالة النفسية**:

يمرُّ المحارب بحالة نفسية في أرض المعركة، فتجعله إمَّا مضطربا يخشى الهزيمة، وإما فرحا مستعدًّا للنصر.

---

1. الزبيدي. ديوانه، ص: 115
2. الأسل: الرماح، الحرار: العطشى للقتل والدم.
3. أريكة: جبل بنجد.
4. الحقائق: ما يحق للرجل أن يحميه
5. الزبيدي. ديوانه، ص: 110.
6. النجاد: حمالة السيف.

فيرتجز عمرو أرجوزة ربما كانت تُغنى في ساحة الحرب، يبين فيها أنه أبو ثور، وأنه يقف حين تزلق سائر الأبطال، فهو لا يغرق في تلك المعامع القتالية، فإذا احمرت أحداق العيون يقف بطلاً أسداً لا يخشى شيئاً، ولا يخاف، في حين أن سائر الرجال المقاتلين يصل إليهم الخوف والفَرَق، غير أنه في تلك الحال يكون ضارباً بالسيف، يهتك حِلَقَ الأعداء، يقول[1]:

أَنا أَبُو ثَوْرٍ وَقَّافُ الزَّلَقْ[2]
لَسْتُ بِمَأْفُونٍ وَلَا فيَّ خَرَقْ[3]
وَأَسَدُ الْقَوْمِ إِذا احْمَرَّ الْحَدَقْ
إِذَا الرِّجَالُ عَضَّهُمْ نَابُ الْفَرَقْ[4]
وَجَدْتَنِي بِالسَّيْفِ هَتَّاكَ الحَلَقْ

6.1 عمرو بعد المعركة:

لا يغفل الشاعر المحارب أن يسجل ما توصلت إليه المعركة من نتائج، إما هزيمة الأعداء، أو أسرهم، أوحتى هزيمته، فلا يتحرج من ذكرها أو الاعتراف بها.

1.6.1 عمرو منتصراً:

ويصور لنا الشاعر بعض المعارك التي تنتهي بالهزيمة، فإن القتل يكون عاقبة هؤلاء المحاربين، ومن هنا فلا بد أن يتبع هذا القتل بالبكاء، وهذه هي مقادير الحياة، ومكنونات الحرب، فيوم له، ويوم عليه، ولكن على الناس أن يواسوا بعضهم إذا هُزِموا في الحرب، وفي هذه الصورة يدمج عمرو نتيجة المعركة، باشتعالها، فكأنه بعد أن انتهت المعركة، أصبح يراجع ذاكرته لتعود به لمنظر الدماء التي تسيل على وجهه، فتتطاير الدماء على وجهه كما يتطاير شرر النار عندما ينفخ عليها

---

[1]. الزبيدي. ديوانه، ص: 185.

[2]. الزلق: الأرض التي لا تثبت عليها قدم.

[3]. المأفون: ناقص الفعل، وضعيف الرأي، خرق: الذي لا يحسن صنعته.

[4]. الفرق: الخوف.

بالكير، فيطلبون منه أخذ المال والسكوت عن القتال لكنه يرفض حكمهم، مستمرًّا بالقتل والطعن، فالحرب تحتاج لذلك أكثر من احتياجها للمال، يقول عمرو[1]:

إِذا قُتِلْنا وَلَا يَبْكِي لَنَا أَحَدٌ قَالَتْ قُرَيْشٌ أَلَا تِلْكَ الْمَقَادِيرُ
وَنَحْنُ بِالصَّفِّ إِذا تُدْمَى حَوَاجِبُنا نُعْطِي السَّوِيَّةَ مِمَّا يَخْلُصُ الْكِيْرُ
نُعْطِي السَّوِيَّةَ مِنْ طَعْنٍ لَهُ نَفَذٌ وَلَا سَوِيَّةَ إِذْ تُعْطَى الدَّنَانِيْرُ [2]

ويرسم عمرو صورة أخرى لأعدائه الذين هزمهم، فهو لم يقتل منهم إلا الصالحين الفرسان، ولم يقضِ إلا على الكريم الشجاع، تاركا النساء ثكلا، سابياً الفتيات الأبكار من أجل النكاح، يقول[3]:

فَلَمْ نَقْتُلْ شِرَارَهم ولَكِنْ قَتَلْنَا الصَّالِحينَ ذَوي السِّلاحِ
قَتَلْنَا مُطْعِمَ الأَضْيَافَ مِنْهُمْ وَأَصْحَابَ الكَرِيهَةِ والصَّباحِ
فَأَتْكَلْنَا الحَلِيلَةَ مِنْ بَنيهَا وَخَلَّينَا الخَرِيدَةَ للنِّكَاحِ

2.6.1 عمرو منقذ الأسرى:

ومن نتائج المعارك وأسبابها تخليص الأسرى من أسرهم، فقد كان الأسير بمثابة فخر وعزة للقبيلة الآسرة، فهي تعتز بأسر فارس من أعدائهم وتفتخر بذلك، لأن أسر الفارس بمثابة العار والخزي لعدوهم، فكثير من الشعراء الذين افتخروا بأسر المحاربين الأبطال.

فتبقى القبيلة في انتظار من يخلِّص أسيرهم من براثن آسريه، وهذا ما يفتخر به عمرو،بعد إحدى المعارك، بأنَّه استطاع تحرير أسرى قومه.

---

[1]. الزبيدي. ديوانه، ص: 116.

[2]. السوية: رداء يوضع على ظهر الدواب كالحمار ونحوه.

[3]. الزبيدي. ديوانه، ص: 77.

ففي هذه المعركة استطاع عمرو أن يخلص مجموعة من الأسرى المذحجيين من قبيلة هوازن[1]، ليبين لنا مدى الانتماء القبيلي الذي يتميز به، فقد صبر على ذلك الأذى، كما صبر الأسرى على أسرهم، حتى جاءهم عمرو وفكهم من الأسر، فكانت فرحتهم بهذا البطل عظيمة، و لم يكتفِ عمرو بهذه النتيجة، بل أخذ مجموعة من الأسرى من قبيلة هوازن، ولشدة افتخاره بتلك النتيجة قام بتعداد أسماء بعض هؤلاء الذين أُسِروا، يقول[2]:

فَأَنْجيتُ أَسْرى مُذْحَجٍ مِنْ هَوَازِنَ ... وَلَمْ يُنْجِهِم إِلا السَّكِيْنَةُ وَالصَّبْرُ
وَنَادَوا جَمِيْعاً حُلَّ عَنَّا وَثَاقَنا ... أَخَا الْبَطْشِ إِنَّ الْأَمْرَ يُحْدِثُهُ الْأَمْرُ
وَأُبْتُ بِأَسْرى لَمْ يَكُنْ بَيْنَ قَتْلِهِم ... وَبَيْنَ طِعَانِي الْيَوْمَ مَا دُوْنَهُ فِتَرُ
يَزِيْدٌ وَعَمْرو وَالْحُصَيْنُ وَمَالِكٌ ... وَوَهْبٌ وَسُفْيَانُ وَسَابِعُهُم وَبْرُ

يظهر لنا من خلال المقطوعة الشعرية السابقة أن الشاعر قد بيّن أن نتيجة المعركة التي خاضها قد كشفت أمرين:

أولاً: تحرير أسرى مذحج وهم من أعيانها وأبطالها.

ثانياً: أسر مجموعة من رجال هوازن.

3.6.1 عمرو يعترف:

ولا يتورع الفارس البطل من ذكر الحقيقة، والاعتراف بها، فهو قد يُهزَم فلا يخجل من ذلك، وقد يُؤسر فلا يعيبه ذلك، وقد يتخلى عنه رفاق الحرب، ويبقى وحيدا في أرض المعركة، فلا يُنكرُ ذلك، وقد يعترف الفارس المحارب بقوة أعدائه وبرباطة جأشهم، وبشجاعة فرسانهم ومحاربيهم، كل الصور تلك لا يمكن أنْ تُرى إلَّا بعد انتهاء المعركة والوقوف على ما جرى فيها.

---

[1]. هوازن: إحدى قبائل العرب وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفه بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذريه إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم عليه السلام.، انظر: ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ج1، ص 265.

[2]. الزبيدي. ديوانه، ص: 119.

ونجد عمراً لا يتورع من ذكر هزيمته، فهو في إحدى المعارك قد فوجئ بقتال شديد، ولم يكن قادراً على مواجهة هؤلاء الأبطال الذين واجهوه، الأمر الذي دفعه إلى الهرب والخلاص من تلك المعركة، فلم يكن نتيجة تلك المعركة بالنسبة إليه إلا أن عاد سليماً، حتى إن عمامته لم تتمزق، لأنّ العمامة عند العرب رمز للقيادة، وتاج الملك، فإذا سقطت عمامة القائد، سقط القوم من بعده، فكانت هزيمة كبرى، ولها وقعٌ أكبر في نفوس أبناء القبيلة، إلا أن ترسه قد تمزق لكثرة الطعان التي لاقاها، ثم يبيّن أنَّ هروبه وجبنه في تلك المعركة ليس عيباً عليه ما دام بالأمس قد عُرِف عنه البطولة والشجاعة والإقدام، يقول[1]:

فَأُبْتُ سَلِيماً لَمْ تُمَزَّقْ عَمَامَتِي وَلَكِنَّهُمْ بِالطَّعْنِ قَدْ خَرَقُوا تُرْسِي

وَلَيْسَ يُعَابُ الْمَرْءُ مِنْ جُبْنِ يَوْمِهِ إِذَا عُرِفَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ

ويبقى عمرو وحيداً في أرض المعركة، يدفع الرماح ويصدها عن قومه الذين تركوا أرض المعركة فارِّين من هولها، إنَّ هذه الصورة تجسد معنى القائد البطل الذي يخشى على سمعته الحربية، وتاريخه القتالي، فحتى لو تخلَّى عنه كلُّ من حوله يبقى يقاتل ويدافع عن سمعته وسمعة القبيلة، يقول[2]:

ظَلَلْتُ كَأَنِّي لِلرِمَاحِ دَرِيْئَةً أُقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ[3]

لقد حرص الشاعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي على تصوير حالته بعد الحرب التي خاضها، فكان فارساً شجاعاً يهزم الأبطال المحاربين، وكان قادراً على تخليص الأسرى من أسرهم، وتخليصهم من براثن عدوه، وليس ذلك فقط بل استطاع أن يعود بأسرى من أعدائه.

ولم يخجل عمرو من ذكر الحقيقة، فإن هزم خلَّد ذلك، والسبب عنده أنَّ الأبطال تفوز وتهزم.

---

1. الزبيدي. ديوانه، ص: 129.
2. الزبيدي، ديوانه، ص: 73
3. دريئة: أي يتصدّى للرماح.

7.1 القعقاع بن عمرو محارباً:

كانت معظم حياة القعقاع بن عمرو التميمي هجرة في سبيل الله، وفي طاعته، ويضعه بعض المصنفين في آخر طبقة المخضرمين، من الفرسان الشجعان، لكننا لا نعرف شيئًا واضحًا عن جاهليته يفيد في معرفة شأنه وماضيه؛ إذ تخلو جميع المصادر من أية إشارة إلى شيء من هذا القبيل. فلا نعرف عنه بما كان يهتم قبل الإسلام، فهل كان مقاتلا، أم عاش حياة مسالمة، كل ذلك لم يرد في مصادر اللغة والأدب بل بقي مبهما حتى يومنا هذا، فليس له ماضٍ ينميه ولا اسم يعتز به، ويعيش على الإخلاص له، ولا شيء إلا إسلامه وإيمانه القوي وعقيدته الراسخة، حتى ليخيَّل للدارس أن حياته لم تبدأ إلا بالإسلام، ومن هنا فإن جميع المصادر تخلو من الإشارة العابرة إلى مولده ونشأته، وإنما تبتدئ جميعها من نقطة واحدة، هي إسلامه، ذلك أنه الحقيقة الكبيرة البارزة والفاعلة في حياته كلها[1].

1.7.1 التعريف به:

لم يكن القعقاع بن عمرو التميمي معروفاً لدى المؤرخين في جاهليته، بل فعاله في المعارك والفتوح الإسلامية هي من خلَّدت اسم القعقاع، ويذكر ابن حجر العسقلاني، أنَّ اسمه القعقاع بن عمرو بن معبد التميمي[2]، بينما يذكر الطبري أن اسمه القعقاع بن عمرو بن مالك التميمي[3]، وليس ابن معبد كما أورد العسقلاني.

يرجع القعقاع في نسبه إلى قبيلة تميم أكبر قبائل العرب، التي تنسب إلى تميم بن مرة بن إد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[4].

ويخبرنا الزركلي أنَّ القعقاع كان: "أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والإسلام. له صحبة، شهد اليرموك وفتح دمشق وأكثر وقائع أهل العراق مع

---

1. القاضي، النعمان عبد المتعال (2005م). شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ص: 201.
2. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ج5، ص343
3. الطبري، ج3، ص 275
4. الأندلسي، ابن حزم جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص207

الفرس. وسكن الكوفة، وأدرك وقعة صفين فحضرها مع علي. وكان يتقلد في أوقات الزينة سيف (هرقل) ملك الروم، ويلبس درع (بهرام) ملك الفرس وهما مما أصاب من الغنائم في حروب فارس. وكان شاعراً فحلاً. قال أبو بكر: صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل"[1].

ولا أدر من أين حكم الزركلي على أنَّ القعقاع كان أحد فرسان العرب في الجاهلية، فجميع المصادر لم تذكر لنا خبرا واحدا عن جاهلية القعقاع، فبقيت جوانب حياته مرتبطة كل الارتباط بوقت دخوله الإسلام وصحبته للنبي فقط. فهذا العسقلاني يذكر لنا، أنَّ النبي، صلى الله عليه وسلم، قال للقعقاع: ماذا أعددت للجهاد؟ فأجاب القعقاع: طاعة الله ورسوله والخيل، فقال: له تلك هي الغاية[2].

فصحبة النبي هي الإشارة الأولى لبداية حياة القعقاع، ومواقفه الكريمة البداية التي وضعت حياته على طريق الاهتمام[3].

حاز القعقاع محبة الصحابة، وثقة الخلفاء به، فأرسله أبو بكر الصديق على رأس حملة لتأديب علقمة بن علاثة بن الأحوص[4]، الذي ارتدَّ في حياة النبي، صلى

---

1. الزركلي، الأعلام، ج 5، ص 202.
2. العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج5، ص 343
3. القيسي، نوري حمودي، (1984)، شعراء إسلاميون، علم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط2، ص12-13.
4. علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الكلابي.كان من أشراف بني ربيعة بن عامر، وكان من المؤلفة قلوبهم، وكان سيداً في قومه، حليماً عاقلاً، ولم يكن فيه ذاك الكرم وهو الذي نافر "عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب"، وكلاهما كلابي وفاخره، والقصة مشهورة. ولما عاد النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف ارتد علقمة ولحق بالشام، فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كلاب بن ربيعة، فأرسل إليه أبو بكر رضي الله عنه سرية فانهزم منهم. وغنم المسلمون أهله، وحملوهم إلى أبي بكر، فجحدوا أن يكونوا على حال علقمة، ولم يبلغ أبا بكر عنهم ما يكره، فأطلقهم. ثم أسلم علقمة فقبل ذلك منه، وحسن إسلامه، واستعمله عمر على حوران فمات بها. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص 142

الله عليه وسلم[1]، قائلا له "سر حتى تُغِيْرَ على علقمة لعلك تأخذه لي أو تقتله، فاصنع ما عندك."[2] فكان القعقاع عند حسن ظن خليفة رسول الله، فجاء بعلقمة أسيراً.

وليست المرَّة الوحيدة التي يثق به أبو بكر، فهذا خالد بن الوليد يطلب المدد من أبي بكر فيرسل له القعقاع وحده، قائلا: " لا يهزم جيش فيه مثل القعقاع"[3].

هذه العبارة التي أطلقها أبو بكر في حق القعقاع، زرعت الطمأنينة في نفوس المحاربين، وترددت في وجدانهم عند كلِّ معركة، فقد وجدوا فيه رمزاً من رموز القيادة الفذّة، وقدرة متميزة من قدرات المقاتل الجريء."[4]،

2.7.1 القعقاع في الفتوح الإسلامية:

شارك القعقاع جيوش المسلمين في فتوح بلاد الشام، والعراق "فرافق القعقاع خالد بن الوليد في فتح العراق إلى أن فصل معه إلى الشام، ثم كان على مقدمة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، الذي قاد جيش العراق وعاد به إلى القادسية. وغزا بعد ذلك مع سعد بن أبي وقاص، والنعمان بن مقرن في نهاوند"[5].

لم يكتفِ القعقاع بأن يكون محارباً فقط، بل كان قائداً عسكريًّا بارعاً، يضع الخطط الحربية، ويُشْرِف على تنفيذها.

---

1. القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص 202
2. القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص 202
3. القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص 203
4. القيسي، شعراء صدر الإسلام، ص14
5. القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص 203

شارك القعقاع في عدد كبير من المعارك، التي ساهمت بنشر دين الإسلام، فكان منها: معركة ذات السلاسل[1]، ومعركة الوَلَجَة[2]، ومعركة الحيرة[3]، ومعركة المَذَار[4]، إضافة إلى معركة القادسية، وغيرها من المعارك الكثيرة.

فهذا الشاعر الفارس البطل لا يمكن أن يدعَى إلى نداء الحرب ولا يستجيب، ولا يمكن له أن يسمع هاتف الكريهة ولا يصغي له.

كانت أغلب جوانب حياة القعقاع في سبيل الله تعالى، وطلبا لمرضاته، ونيلا لجنّاته، وكان شعره "مرآة لأحداث الفتوح التي عاشها الشاعر الفارس وعاصرها؛ حيث تنعكس عليه جميع جوانبها، من تحركات وتحولات وقتال ونصر واستشهاد، ولم يحدث أن تحركت كتيبة من مكان إلى مكان، أو تحولت من ميدان إلى ميدان، ولا من معركة إلى معركة إلا وسجل شعره ذلك"[5]

فكان شعره بمثابة الوثيقة التاريخية والجغرافية، التي لابدَّ لدارس مرحلة الفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام من الرجوع إليه.

حرص القعقاع بن عمرو على رسم صورة المحارب كما رآها خلال معاركه التي خاضها، خاصة تلك التي كانت معارك فاصلة، كاليرموك، والقادسية، وغيرهما، ومن هنا فقد تظافرت مجموعة من الصفات التي رآها القعقاع في تلك الحروب الداميات، وفي الصفحات المقبلة سنجري الحديث عن تلك الصفات الحربية التي جعلها القعقاع للمحارب الفذ.

---

1. ذات السلاسل: معركة بين المسلمين والفرس، جرت في منطقة كاظمة، والكظم: إمساك الفم، والكاظم: المطرق لا يجرُّ من الإبل، انظر: الحموي، ياقوت، (1984)، معجم البلدان، تحقيق إحسان عباس، دار الفكر، بيروت،ج4، ص 431
2. الولجة: جرت هذه المعركة في منطقة الولجة، وهي موضع مما يلي البرّ، أوقع فيها خالدٌ جيش الفرس، انظر: الحموي، ج5، ص383
3. الحيرة: مدينة على بعد ثلاثة أميال من الكوفة، على موضع يقال له النَّجف، وهي مسكن ملوك العرب في الجاهلية، انظر: الحموي، ج2، ص328
4. المذار: جرت معركة المذار في المذار، وهي مكان يقع في حيسان، بن واسط والبصرة، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام، انظر: الحموي، ج 5، ص88
5. القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص 210

3.7.1 القعقاع قبل المعركة:

كما رسم لنا عمرو بن معد يكرب صورةً للمحارب قبل المعركة، باستعداداته المختلفة لها، نجد القعقاع بن عمرو التميمي يفعل الشيء نفسه، ولكن بصور مختلفة ومتنوعة وجديدة، وخاصة أن صور القعقاع لها ضابط ديني لا يمكن له أن يخرج عنه، فإيمانه بالله وعقيدته القوية هي من حددت معالم تلك المشاهد الحربية.

1.3.7.1 الاستعداد للحرب:

يبين لنا القعقاع أنه لابد من التجهيز الكافي قبل المعركة؛ لما لتلك التجهيزات من تأثير كبير في حسم المعركة، ولصوق النصر بمن يستحقه من المحاربين، فعلى الجيش أن يختار المكان المناسب قبل المعركة، وعليهم أن يحكموا موقعهم وحراستهم في ذلك المكان، كما عليهم أن يعرفوا أرض العدو معرفة دقيقة؛ لكي يتسنى لهم الوصول إلى مواطن الضعف عندهم، وخاصة أنَّ القتال على أرض العدو، فلا ينتظر الأبطال دعاءً من عدوهم، بل لا بد لهم من الحضور إليه، مما يفضي إلى القتال الحاسم بينهم، يقول[1]:

تَوَقَّيْنا وَمَنزِلُنا جَمِيعاً أَمَامَ الْخَيلِ بِالسُّمُرِ الثِّقَافِ [2]

قَسَمْنا أَرْضَهم نِصْفَيْنِ حَتَّى نَزَلْنَا مِثْلَ مَنْزِلِهِم كَفَافِ [3]

ومن ضمن استعدادات الحرب، الترتيب والتخطيط لها، فيذكر القعقاع أنَّ الأعداء يرتبون للحرب، ويخططون لها، في عقر دارهم، غير غافلٍ عن تسجيل اسم الموقعة التي تمَّ الترتيب لها، يقول[4]:

فَنَحْنُ حُبِسْنَا بالزَّمازِمِ بَعْدَمَا أَقَامُوا لَنَا في عَرْصَةِ الدَّارِ تُرْتُبَا[5]

---

[1]. التميمي، القعقاع بن عمرو (2007م). ديوان القعقاع بن عمرو التميمي، جمع وتحقيق وصنع وتدقيق وتعليق: حسن محمد الربابعة، عمان – الأردن، الطبعة الأولى، ص: 109.

[2]. الثقاف: الرماح

[3]. كفاف: الإحاطة بالشيء.

[4]. التميمي، ديوانه، ص 143.

[5]. الزمازم: موضع بالعراق، ومعناه المياه الكثيرة.

2.3.7.1 **تلبية نداء الحرب**:

من صفات الفارس البطل أنَّه لا يتأخر عن تلبية نداء الحرب والاستجابة لها، بل هو من يسعى إليها، ويمشي في طلبها.

فيرسم لنا الشاعر صورة المقاتل وقد انطلق إلى الحرب عشيتها، فلم تكن الخيل تعرف إلى أين المسير، غير أن الرماح أُشهرت، والسيوف أُخرجت من أغمادها، وكأنَّه لا يريد أن يبدأ الحرب دون رسم مشهد ينبض بالحركة القتاليَّة، لما في هذا المشهد من تحفيز النفوس نحو القتال، فهو يسأل خيله العربية عن فعاله في الحروب وبلائه عند مواجهة الأعداء، ليجيب نفسه بأنَّه أذاق الفرس الهزيمة في يوم أغواث، يقول القعقاع[1]:

أَلَمْ تَعرِفِ الْخَيْلُ الْعُرَابُ سَوَاءَنا عَشِيَّةَ أَغْوَاثٍ بِجَنْبِ الْقَوَادِسِ[2]

ويبين لنا الشاعر أن الحرب أحب إليه من الدعة والمكوث، فهو دائم التأهب للقتال، ودائم النظر في ما تأتي به الحرب، فهو لشدة تأهبه واستعداده للقتال والحرب صارت بالنسبة إليه أحب مكان، وصار صوت الرماح المتطاعنة، والسيوف المتضاربة ألذّ عنده من اللبن اللذيذ، فهذه كلها لا تساوي شيئاً أمام المعارك والحروب التي يتوجب على الشاعر أن يخوضها، يقول[3]:

لَحَربٌ شَمَّرَتْ بِلِوَى قُدَيْسٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ دَعَةِ الْبَراحِ [4]

وَضَرْبُ كَتِيْبَةٍ وَطِعَانُ أُخْرَى أَلَذُّ إِلَيَّ مِنْ لَبَنِ اللقَاحِ

وصورة الإلقاح التي ذكرها القعقاع من الصور "المستوحاة من طريقة تلقيح الفحول للنوق، فالحرب ناقة تُلَقح وتَحْمل وتَلِد، بيد أنَّ دلالة التلقيح تلك ترمز إلى من

---

[1]. التميمي. ديوانه، ص: 74.

[2]. أغواث: كان يقال لليوم الأول من أيام القادسية التي قاتل فيها المسلمون الفرس يوم أرماث، ويقال لليوم الثاني يوم أغواث، ويقال لليوم الثالث يوم عماس، وكان اليوم الرابع يوم القادسية، وفيه كان الفتح على المسلمين، فأغواث يوم من أيام القادسية، أنظر الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 225. القوادس: قصد بها القاسية.

[3]. التميمي. ديوانه، ص: 104؟

[4]. البراح: الأرض المرتفعة.

يروض الحرب ويَذِلُّ عنفوانَها، ويوجهها كما يريد ولا يستطيع ذلك إلا المحاربون الأشدَّاء" [1]

ولا يمكن لمحارب بطل شجاع مثل القعقاع أن يدعى للحرب فلا يستجيب لها، رغم أن الحرب كريهة عنده، لما تجلبه من اليتم والثكل، والخراب والدمار، وتهلك الفرسان الشجعان، إلّا أنَّه يصغي ويستمع إلى نداء الهاتف الذي يناديه لها، وكلمة هاتف تبين أنَّ السعي للحرب وحيٌ إلهي لا يستطيع القعقاع إلا تلبيته، فيقول[2]:

يَدْعُوْنَ قَعْقَاعاً لِكُلِّ كَرِيْهَةٍ فَيُجِيبُ قَعْقَاعُ دُعَاءَ الهَاتِفِ

ووصف الحرب بالكريهة لم يكن مشهدا جديدا لدى القعقاع فقط، بل سبقه إليه كثير من الشعراء المحاربين، وذلك لتعدد صورها المريعة، ولأنَّ كلَّ عناصرها البشريَّة والحيوانية، والجمادية تتحول إلى مصدر للقتل الوحشي المخيف، فمن يذهب للحرب هو ذاهبٌ للموت الذي سيخطفه، أو يخطف عدوه[3]، يقول عنترة[4]:

إِذَا حَمَلْتُ عَلَى الكَرِيْهَةِ لَمْ أَقُلْ بَعْدَ الكَرِيْهَةِ لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلِ

لقد كان القعقاع حريصا قبل المعركة على الاستعداد لها بالعدَّة والسلاح، وعلى تهيئة النفس للقتال، كما أنَّه كان ملبيا لنداء الحرب مجيبا لدعوتها.

4.7.1 القعقاع في دائرة المعركة:

نقل لنا القعقاع بن عمرو التميمي مجموعة من الصور الحربية من داخل أرض المعركة، كصورة الخيل والرماح والسيوف، والسهام، فكلُّ هذه الصور تنبض حركة وتبعث حياة جديدة من ساحات المعارك.

---

1. الرفوع، خليل، صورة الحرب في الشعر الجاهلي، ص 95
2. التميمي، ديوانه، ص: 84.
3. الرفوع، صورة الحرب في الشعر الجاهلي، ص 113-114
4. العبسي، شرح ديوانه، ص252

1.4.7.1 **الصور الحركية**:

وهي الصور التي يجعل فيها الشاعر الأشياء من حوله تنبض بالحركة والحيوية، لينقل لنا المشهد بصورة رائعة، معبرة عن الواقع الذي يعيشه، وكذلك الأمر بالنسبة للشاعر المحارب، فقد يجعل من الخيل إنسانا ينطق، ومن السيوف والرماح كائنات حيَّة تتحرك بنشاط وهمة.

2.4.7.1 **صورة الخيل**:

للخيل الأصيلة بعض العلامات التي تميزها عن غيرها كنجابتها؛ وسرعة العدو، والنشاط، والحيوية، والأهم من هذه الصفات الجسدية، فعال الخيل داخل المعركة، وكيف لها أن تكرَّ وتفرَّ في ساحة الحرب.

فهذا القعقاع ينقلنا إلى حومة الوغى التي كان يخوضها، ويرسم لنا صورته وهو يقارع الأبطال، ويصارع الفرسان، ويجالدهم، وحيدا في أرض المعركة، ولا يأبه لما تتعرض له فرسه من الطعن بالرماح، وهذا دليل على ثقة الفارس بسلاحة، وبنفسه، فرغم طعان العدو للفرس إلَّا أنَّها تحافظ على من يركبها، وهو كذلك يبقى صامداً ثابتاً على ظهرها، كصموده وثباته أمام العدو، و لو ظلَّ وحيدا في ميدان الحرب، يقول[1]:

أُجَالِدُهُمْ وَالخَيْلُ تَنْحَطُ فِي الْقَنَا وَأَنْتَ وَحِيْدٌ قَدْ حَوَتْكَ الْكَتَائِبُ[2]

ولا يأبه القعقاع بأن يقحم خيله في القتال، ولو أدَّى ذلك إلى حتفها وموتها، إنْ كانت النتيجة القضاء على العدو وهزيمته[3]،

وَإِنَّا أُنَاسٌ قَدْ نُعوِّدُ خَيْلَنَا لِقَاءَ الأَعَادِي بِالحُتُوفِ الفَوَاطِمِ

---

[1]. التميمي. ديوانه، ص: 43.

[2]. أجالدهم: أضاربهم بالسيف، أو أقاتلهم.

[3]. التميمي. ديوانه، ص: 166

ويضرم القعقاع خيله في القتال، الذي يشبه النّار المستعرة الموقدة، ليعود بقتلى تملئ شعاب الجبال، يقول[1]:

مَلَأْنَا شِعَاباً فِي نَهَاوَندَ مِنْهُمُ رِجَالاً وَخَيْلاً أُضْرِمَتْ بالضَّرَائِمِ

3.4.7.1 **صورة السيف**:

رسم لنا الشاعر مشهداً حربيا جعل فيه السيوف الهندية، الغالية الثمن، لأنَّها سيوف مستوردة للقتال فقط، وليس للزينة والمفاخرة، تتحرك وتنبض بالحياة،رغم أنها أداة للقتل والفناء، فهذه السيوف لا تختار إلَّا الفتيان لقتلهم، فهي تعرف طريقها إلى رؤوس الشباب، وتعرف كيف تفرِّق بين جموعهم، وهي تجعل من الشاعر فخوراً بها لأنَّها تجلب المنايا للعدو. يقول[2]:

غَدَاةَ صَبَحْنا فِي حَصِيْدِ جُمُوْعِهِمْ بِهِنْدِيَّةٍ تَفْرِي فِرَاخَ الْجَماجِمِ [3]

وَرُوْزَ أَصَابَتْ بِالمَنَايَا فَأَوْجَعَتْ سُيُوْفَ بَنِي عَمْرٍو بِإِحْدى الْعَظَائِمِ[4]

والسيف عند القعقاع، مثل السد المنيع، الذي يحول بين الفارس وبين الرجوع إلى أهله وقومه، لأنَّه سيلقى الموت به، فهو يمنع بني فارس عن أهلهم وعن ربعهم، لأنَّه جاء يحمل القتل لهم، يقول[5]:

أَلَمْ يَنْهَ عَنّا حَيُّ فَارِسٍ أَنَّنَا مَنَعْنَاهُمْ مِنْ رَبْعِهِم بالصَّوارِمِ

4.4.7.1 **السهام**:

تعدُّ القوس والسهم من أدوات الحرب التي لا يمكن للفارس أن يخرج للمعركة من دونها، وخاصة عندما تتحول هذه السهام إلى سمٍّ قاتل يضرب به

---

1. التميمي. ديوانه، ص: 133
2. التميمي. ديوانه، ص: 166.
3. الحصيد: موضع في أطراف العراق، من جهة الجزيرة، ويقال أنَّه وادٍ بين الكوفة والشام، أوقع به القعقاع بن عمرو في الأعاجم، أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 267.
4. روز: هو روزمهر أحد قادة الفرس، والذي قتل في معركة الحصيد.
5. التميمي. ديوانه، ص: 166

الأعداء، فسهام القعقاع أصبحت تَدِبُّ الرعب والجبن في نفوس أعدائه، حتى يخال إليهم أنها السمُّ الذي سينهي حياتهم، يقول[1]:

وَمَا إِنْ طَبَّهُم جُبْنٌ وَلَكِنْ رَمَيْنَاهُمْ بِرَامِيَةٍ ذُعَافِ[2]

5.4.7.1 صورة الرماح:

وللرمح دوره في المعركة، فالفارس المحارب يعتمد عليه اعتمادا كثيرا في ميدان القتال، فهذا مشهد لحركة الرماح المتطايرة، كان له الأثر الأكبر في نفوس المحاربين، والأثر البالغ في تحقيق ما يريده الشاعر من إبراز قوة جيشه ومحاربيه، ولم تكن صورة الرماح المتطايرة وحيدة، بل قابلها صورة الطيور الرسارس، فكما تنقض الطيور الجارحة على فرائسها، نجد الرماح التي جهزت للحرب تفعل الشيء نفسه؛ لتريهم من ألوان القتل والطعن ما لم يكونوا يتوقعونه من جند القعقاع ومنه، يقول القعقاع[3]:

عَشِيَّةَ رُحْنَا بالرِّمَاحِ كَأَنَّها عَلَى القَوْمِ أَلْوَانُ الطُيُورِ الرِّسَارسِ[4]

5.7.1 حالته الجسديّة:

ويصور لنا الشاعر نفسه وقد أقبل إلى يوم المعركة، وكان ذلك اليوم شديد القتال، حتى إن الألباب تذهل منه، ولكنه أقام فيه على القتال، ولم يأبه لذلك الثقل الواقع على كاهليه منه، فكان يفل الجموع من حوله، على الرغم من أن الخيل نفسها قد ازورت عن ذلك القتال، وما كان ازورار الخيل عن القتال إلّا من منظر الدماء التي تنفث منها، لكثرة الطعن والقتل، أو قد تكون دماء صاحبها، أو دماء الأعداء

---

1. التميمي. ديوانه، ص: 109
2. الذعاف: السم القاتل.
3. التميمي. ديوانه، ص: 107.
4. الرسارس: السريعة من الطيور والنشيطة.

الذين تواجههم، ولكن رغم أنَّ هذا اليوم قد أذهب العقول إلّا أنّه استطاع أن يفرِّق جموع الأعداء ويشتتهم، يقول[1]:

وَيَومٌ تَذْهَلُ الْأَلْبَابُ فِيْهِ أَقَمْتُ عَلَى خَوَالِيْهِ الْبِطَاحِ
فَلَلْتُ جُمُوْعَهُ وَالْخَيْلُ زُوْرٌ تَمُجُّ الْأَنِيَّ أَوْ عَلَقَ الْجِرَاحِ [2]

ويستخدم الشاعر جسده للتحكم بالخيل كما يريد، فهو يعطف الخيل لكي تتوجه نحو أعدائه الفارِّين من أرض المعركة، بعد أن ملُّوا وتعبوا من كثرة الطعن والقتل، يقول[3]:

عَطَفْتُ عَلَيْكَ المُهْرَ حَتَّى تَفَرَّجَتْ وَمَلَّتْ عَنِ الطَّعْنِ الدِّرَاكُ الرَّوَاجِبُ[4]

ويظهر لنا أنَّ الشَّاعر استطاع رسم عدد من المشاهد الحركية للحرب وهي في أوج اشتعالها، كصورة الخيل والسلاح، كما ذكر كيف تعامل مع الحرب بالجسد، من حسن قيادة الخيل، وتشتيت جموع الأعداء وتفريقهم.

6.7.1 **القعقاع بعد المعركة**:

لقد أشار الباحث أن الشَّاعر المحارب لا يغفل عن تصوير جوانب الحرب كافة، سواء قبلها أم بعدها، أم في دائرتها، وهي الحال بالنسبة للقعقاع بن عمرو التميمي، فمثلما استطاع أنْ يصور الحرب قبل وقوعها وفي أثناء اشتعال نارها ودوران رحاها، استطاع أن ينقل لنا صوراً ومشاهدَ لما حدث بعدها.

1.6.7.1 **القعقاع منتصراً**:

فيخبرنا القعقاع عن هزمه كثيراً من الكتائب التي واجهته، فهو يُري أعداءه العجائب، ويرى العجائب لخوضه الحرب تلو الحرب، يقول[5]:

---

[1]. التميمي. ديوانه، ص: 104.

[2]. الأني: الزبد أو اللعاب، مجّ: نفخ أو بسق.

[3]. التميمي، ديوانه، ص: 43

[4]. الدِّراك: المتتابع غير المنقطع، الرَّواجبُ: أصابع المفاصل.

[5]. التميمي. ديوانه، ص: 43.

وَكَائِنْ هَزَمْنَا مِنْ كَتِيبَةِ قَاهِرٍ وَقَدْ عَجَمَتْنَا فِي الْحُرُوْبِ الْعَجَائِبُ

ويصور لنا الشاعر نهاية المعركة بأن العدو صار مثل الحصيد اليابس، فليس هناك من أنيس فيهم، وعلى الرغم من هذه الهزيمة النكراء إلا أن الشاعر لم يشفِ غليله من قتال الأعاجم، ويصبو أن يقاتلهم بموقعة أخرى يكون الحكم فيها للبيض الصوارم، ثم يعرّج الشاعر على ذكر زوجه "أسماء" ويطلب منها أن تعي تماماً أن زوجها المحارب البطل قد قضى شيئاً من وطره في قتال الأعاجم، يقول[1]:

تَرَكْنا حَصِيْداً لَا أَنِيْسَ يُجُرُّهُ وَقَدْ شَفِيَتْ أَرْبَابُهُ بِالأَعَاجِمِ
وَإِنِّي لَرَاجٍ أَنْ تُلَاقِيَ جُمُوْعُهُمُ غُدَيَّا بِإِحْدى الْمُنْكَرَاتِ الصَّوَارِمِ
أَلَا أَبْلِغَا أَسْماءَ أَنِّ خَلِيْلَها قَضَى وَطَراً مِنْ رُوْزَمهر الْأَعَاجِمِ[2]

ويصور القعقاع الهزيمة التي أوقعها بالرّوم، وهو يحمل بين يديه السيف الرقيق، دليلاً على خفّة الحركة لديه، وأنَّ السيف مثل الورق الذي يوصل به رسائل الموت للأعداء، فاستطاع بقوته أنْ يهزم جيش الروم في معركة اليرموك، ويترك أرضهم جدباء قاحلة، لا تسقيها إلا دماؤهم.يقول[3]:

قَتَلْنَا مَنْ أَقَامَ لَنَا وَفِيْنَا نهَابُهُمُ بِأَسْيَافٍ رِقَاقِ
قَتَلْنَا الرُّومَ حَتَّى مَا تُسَاوِي عَلَى اليَرْمُوكِ تفْرُوقُ الوِرَاقِ

2.6.7.1 **القعقاع يتذكر**:

ثمة سمة عامة لاحظها الباحث في شعر القعقاع الحربي ذات ارتباط بانتهاء المعركة، ألا وهي سمة الذكريات التي ما زال القعقاع يحتفظ بها بعد المعارك، فكثيراً ما يروي لنا عما وقع في معركة ما، ويسرد لنا بعضاً من أحداثها، ويبين نتائج بعضها.

---

1. التميمي. ديوانه، ص: 166.
2. روزمهر: أحد قادة الفرس.
3. التميمي. ديوانه، ص: 158.

فيسرد لنا ذكرياته التي دارت معه في أيامه التي حارب فيها، فقد جدع أنوف بني فارس في كل موقعة معهم، وقد دمر بيوتهم بعد أن وقعت عليهم الهزيمة، وليس كل من يدخل الحرب قادراً على أن يحقق فيها النصر المرجو منها، فقد استطاع هذا المحارب البطل أن يهدم الطريق دونهم، وذلك كي يصل إلى غايته التي يرجوها بالانتصار عليهم، يقول[1]:

جَدَعْتُ عَلى الْماهَاتِ أنِفَ فَارِسٍ بِكُلِّ فَتَىً مِنْ صُلْبِ فَارِسِ جاذِرِ
هَتَكْتُ بُيُوْتَ الْفُرْسِ يَوْمَ لَقِيْتُهُمْ وَمَا كُلُّ مَنْ يَلْقَى الْحُرُوْبَ بِثَائِرِ

ومن ذكرياته في الحرب، أيضا، معركة نهاوند التي شارك فيها، وكيف أنهم حققوا النصر على أعداء الله، فقد شهد الشاعر تلك المعركة، فلم يتخاذل أحد من القبائل فيها، بل أبلى الجميع بلاء حسناً، حتى هرب قائد الأعداء، واحتمى بجبل كي لا تدركه الأبطال الفرسان الذين يتوقون لقتاله، فقتل هناك، يقول[2]:

وَيَومَ نَهَاوَنْدَ شَهِدْتُ فَلَمْ أَخِمْ وَقَدْ أَحْسَنَتْ فِيْهِ جَمِيْعُ الْقَبائِلِ[3]
عَشِيَّةَ ولَّى الْفَيْرُزَانُ مُوَايِلاً إِلى جَبَلٍ آبٍ حِذَارَ الْقَوَاصِلِ[4]
فَأَدْرَكَهُ منَّا أَخُو الْهَيْجِ وَالنَّدَى فَقَطَّرَهُ عِنْدَ ازْدِحَامِ الْعَوَامِلِ

يظهر لنا من خلال ما سبق كله كيف أن الشاعر اعتمد في تصوير المحارب بعد انتهاء الحرب على نواحٍ هي:

1. الذكريات الماضية التي اجتمعت في ذهنه من كثرة الحروب التي خاضها.
2. الحديث عن قوته وقوة من معه، وبيان هزيمة الأعداء.
3. التركيز على نتائج المعركة المتمثلة بعناصر النصر له ولمن معه، وعناصر الهزيمة لعدوهم.

---

[1]. التميمي. ديوانه، ص: 136.

[2]. التميمي. ديوانه، ص: 161.

[3]. أخم: أجبن.

[4]. الفيروزان/ من قادة جيوش الفرس.

وبهذه الصفات التي دأب القعقاع على تحقيقها ضمن حديثه عن مكونات الحرب التي خاضها في أيامه الطويلة، فكأن الذكريات هي السبيل الذي يتعزى بها هذا الشاعر المحارب ربما بعد انقضاء حروبه، ومكوثه من دون قتال، فقد وثّق تلك الأحداث الحربية التي شارك فيها بعد انقضائها على ما اتضح لنا من خلال مكوناته الشعرية التي بيّنها سابقاً.

8.1 مقارنة بين الشاعرين:

مرّ بنا الحديث عن فروسية الشاعرين عمرو بن معد يكرب الزبيدي، والقعقاع بن عمرو، وقد كان ذلك الحديث منصباً على جوانب الحرب، فقد تبيّنت صفات المحارب في كل منهما؛ إذ أوضح لنا عمرو بن معد يكرب عن شخصيته الحربية، وهو محارب العرب منذ الجاهلية، عُرِفت عنه البطولة والشجاعة، وبقي كذلك حتى أسلم، فكان محارباً فذاً في صفوف الإسلام، وبقي صيته ذائعاً إلى آخر أيام عمره[1].

والأمر ذاته نجده عند القعقاع بن عمرو التميمي، غير أن شجاعته ظهرت أكثر ما تكون في الإسلام، فقد كان شاباً في صدر الإسلام، وشهد مجموعة من المعارك الفاصلة التي ربما لم يشهدها عمرو بن معد يكرب الزبيدي، فالقعقاع نموذج حي للشباب المحارب في صدر الإسلام، وكان شعره سجلاً تاريخياً لما أبدعه من بطولات لها الأثر في تحقيق العزة والنصر للمسلمين[2].

وقد اتضح لنا في الصفحات السابقة ما يتصف به كل من عمرو بن معد يكرب الزبيدي والقعقاع بن عمرو التميمي من صفات المحاربين في دائرة الحرب، سواء قبل الحرب، أو في أثنائها، أم بعدها، وقد تبيّن لنا من خلال ما سبق ما يأتي:

---

[1]. انظر: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي (2004م). خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، دار البحار، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 1، ص: 412.

[2]. القاضي. شعر الفتوح الإسلامية، ص: 7.

1. إن لكل محارب من هذين المحاربين الشاعرين دوراً مهماً في تحقيق عناصر النصر لمن معه من المقاتلين، فقد كان بلاؤهما في الحرب له الأثر البالغ في عناصر النصر التي تلت تلك الحروب.
2. كان الشاعر عمرو بن معد يكرب أكثر تركيزاً على ملامح الحرب، ومظاهر المحارب في أحواله وظروفه كافة قبل الحرب وبعدها، حتى صارت الحرب بالنسبة له صنعة، بل تكاد تصل في ارتباطها الوثيق إلى حد العبادة، فشبه كثرة حروبه وقتاله بكثرة مكوث اليهود في كنائسهم يتعبدون ربهم، يقول [1]:

عَمَرْتُ مَجالَ الْخَيْلِ بِالبِيْضِ وَالقَنَا كَمَا عَمَرَتْ شُمْطُ الْيَهُوْدِ الْكَنَائِسا
وَنَسْمَةٌ لِلهِنْدِيِّ في البِيْضِ رَنَّةٌ كَرَنَّةِ أَبْكَارٍ زُفِفْنَ عَرَائِسا

3. يظهر أن القعقاع بن عمرو التميمي قد دوّن أغلب أحداث حروبه ومعاركه التي شارك فيها بعد انتهائها بمدة، وذلك بالحديث عنها بملامح الذكريات الماضية، فيذكر أيامه في نهاوند أو اليرموك مثلاً، في حين أن عمراً لم يكن كذلك، بل كانت أبيات شعره تقودنا إلى الإحساس بتسجيل الأحداث الحربية التي كانت تجري معه أولاً بأول، فينقلنا من الحدث إلى الحدث الذي يليه، بل يُشعرنا بقيمة القتال الحربي لديه، ويبرهن لنا في كل مرة ما يتوق إليه من القتال والحرب.

[1]. الزبيدي. ديوانه، ص: 127.

الفصل الثاني

القوم المحاربون

1.2 مفهوم القبيلة

كان الشعراء المحاربون يفتخرون بقبائلهم وببأسهم الشديد في القتال، فلولا القبيلة لما استطاع هؤلاء المحاربون مجابهة الأعداء ومقارعتهم.

والأمر كذلك بالنسبة للقبيلة فقد كانت القبائل تعتزّ بفرسانها، وببأسهم وشجاعتهم في الحروب، وبحسن إدارتهم وقيادتهم للحروب، فهذه عبس قد اعتزت بعنترة، كما اعتزت تغلب بالمهلهل، فكانت العلاقة تبادلية ما بين الفارس والقبيلة، فالفارس المحارب يحتفل بقبيلته ويفتخر بها، والقبيلة تعتز بفرسانها.

ففي اللغة نجد كلمة قبيلة تحت مادة (قبل) حيث يقودنا هذا المعنى إلى التشارك والتجمع، وهو عكس المناحرة والفرقة، فالقبيلة هي الجماعة من الناس التي تنتسب إلى أب، أو أم، أوجد واحد، وهي كذلك عظام الرأس المتصلة مع بعضها البعض[1].

فهذا المعنى يدل على أن مسمى القبيلة لم يأت من فراغ، بل جاء ليدل على قوة التلاحم والترابط بين أفراد القبيلة الواحدة.

وبما أن القبيلة كانت تفرح كل الفرح، وتسعد كل السعادة لمولد شاعر يخرج في أحضانها يدافع عنها أمام خصومها وأعدائها، ليكون أشبه بالمذياع أو الرائي الذي ينقل أخبار القبيلة ويصور وقائعها ومعاركها بشعره. [2]

ولم تغفل القبيلة رأي الشاعر المحارب في منازعاتها وحروبها، وحتى حين تعقد الصلح مع غيرها من القبائل[3].

---

[1].المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (2004)،مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، مادة قبل.

[2]. الشايب،أحمد،(1954م)،تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط2،مكتبة النهضة المصرية، ص25.

[3]. المزايدة، ضيف الله، (2013)، صورة الشاعر المحارب في الشعر الجاهلي دراسة تحليلية وتأويلية، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، قسم اللغة العربية وآدابها، إشراف الأستاذ الدكتور خليل الرفوع، ص 16

ولا يتهيب الشاعر المحارب من الفخر بقبيلته ومدحها حتى أمام الملوك العظماء، ولو كان ذلك الفخر ممزوجا بنبرة من التحدي والأنفة الكبيرة، فهذا عمرو بن كلثوم التغلبي، يفتخر بقبيلته ويعتز بهم، واصفا إياهم بأنهم قوم حروب وقتال، فهي تعصم نفسها عن القتال إن أطاعها العدو، وتعزم نفسها على الضرب والقتل إن لم يطعها، ومن شدة فخره كذلك، يصفهم بأنهم يشربون صفو الماء، وغيرهم يشرب الكدر والطين. يقول: [1]

وَإِنَّا العَاصِمُونَ إذا أُطِعْنَا وَإِنَّا العَازِمُونَ إذا عُصِينَا
وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَفْواً ويَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدَراً وَطِينا

وفي هذا الجانب سنتناول القبيلة من جهة أخرى، فسنرى كيف اعتمد الشاعران على القبيلة في الحرب، وكيف ساهمت في رسم صورة المحارب لديهما.

2.2 قوم عمرو بن معد يكرب محاربين:

كان للقبيلة دور بارز في إظهار فروسية عمرو بن معد يكرب، وكما أشار الباحث سابقا، فقد عُرِف عن عمرو في بداية حياته أنه كثير الأكل والنوم، لا تظهر عليه علامات الفروسية وإماراتها، لا يستفيد قومه منه في شيء، حتى جاء يوم وأغارت عليهم قبيلة خثعم[2]، التي استطاعت في بداية المعركة أن تتغلب على قبيلة زبيد قوم عمرو بن معد يكرب، وعمرو يراقب أحداث تلك المعركة عن بعد، وعندما لاح له أن لواء والده بدأ يسقط هبَّ إلى نصرة قبيلته فقاتل قتالا مريرا، استطاع به أن يهزم أعداءه وينال منهم.

وقد خلد عمرو تلك المعركة بأبيات مشهورة، فهو كما يقول قد أعدَّ لذلك اليوم العدة والسلاح، والخيل السريعة التي تحسن خوض المعارك، وأعدَّ لها سيفا

---

1. ابن كلثوم، عمرو، (1991م)، ديوانه، جمعه وحققه الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ص89-90.
2. خثعم: هم بنو خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وهي من قبائل العرب المعروفة بأصلها وحسن نسبها، انظر: ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ج1، ص 475

بتَّاراً يقطع سيوف الأعداء وأبدانهم، وليس هو فقط من أعد لتلك المعركة، فنجده يذكر استعداد قومه للحرب، فقد لبسوا الحديد، وتنمَّروا وتجهزوا لهذه المعركة، يقول: [1]

أَعْدَدْتُ للحَدَثَانِ سَا بِغَةً وَعَدَّاءً عَلَنْدَى [2].
نَصْراً، وَذا شُطَبٍ يُقَدْ دُ البِيضَ وَالأَبْدَانَ قَدّا [3].
قَوْمٌ إِذا لَبِسُوا الحَدِيـ ـدَ تَنَمَّروا حَلَقاً وقَدّا [4].

فالقبيلة هي من أخرجت الفارس من جوف عمرو، وجعلته يظهر ما بداخله من شجاعة وبطولة.

1.2.2 قوم عمرو قبل الحرب:

إنَّ الشاعر المحارب لا يغفل عن تصوير نفسه في جميع لحظات الحرب، سواء أكانت اللحظات قبل الحرب أو بعدها أو في دائرتها، وهو كذلك لا يغفل عن تصوير قومه، في اللحظات التي ذكرت.

فعمرو كغيره من الشعراء المحاربين لم ينس دور قومه في الحروب، ولم يغفل عن ذكر وقائهم ومعاركهم.

1.1.2.2 رصد حركة القوم نحو المعركة:

فهو يأتي على ذكر الأماكن التي لاقى قومه أعداءه بها فقد واجه قومه العَمْرين، في وادي المَرِّ، وفي عَالَجَ، وفي وادي أُبَين، فقد وجدوهم على رأس ثمانين فارساً، في منطقة يقال لها صلاطح، فكانت وجوههم مثل الليل الكالح، من شدة بأسهم وشجاعتهم، يقول[5]:

---

1. الزبيدي، ديوانه، ص80
2. سابغة: الدرع الواسعة الممتدة، عدّاً علندى:الفرس الطويلة العظيمة والغليظ الشديد.
3. شُطَب:طرائق السيف الذي سحب من غمده. القد: القطع طولا.
4. تنمّروا:إذا لبسوا الدروع، وتشبهوا بالنمر في أفعالهم.
5. الزبيدي، ديوانه، ص 74

وَمَا من قُبَيلٍ بين مَرٍّ وعَالِجٍ وَأُبينَ إلَّا طَامِحٌ في الطَوَامِحِ [1].
وَجَدْنَا بِهِ العَمْرَيْنِ: عَمْرو عُدَيَّة وعمرو بن عمرٍو في حِلالٍ صُلَاطِحِ[2].
وَجَدْنَا بَنِي عَمْرو ثَمَانِينَ فَارِساً تُجَابِهُ عَنِ وجْهٍ مِنَ الليلِ كَالِحِ

ونجد عمرو لا يكتفي بذكر وقائع قومه فقط، بل أصبح جغرافيا يرسم خريطة لمسيرة جيش قومه، وكذلك جيش أعدائهم، وأيضا نجده رياضيا يحصي عدد الفرسان الذين يقابلون قومه.

2.1.2.2 الفخر بالقوم قبل المعركة:

وقد يختار عمرو الهجاء ليصف قومه قبل المعركة، فهو يهجو بني زياد ويصفهم بأنهم أذناب قومهم وذيولهم، بينما قومه هم من الفروع الأصيلة، التي تصل الجيش بالجيش، طالبة القتال، بينما عدوه يبقى بالقهر يَرْبِقُ الغنم، ويصيد بالكلاب، وكأنه يقول أن بني زياد لم يخلقوا للحرب فليسوا مثل قومه، بينما هو وقومه يراه الناس مقبلين على الحرب، يقود الكتائب والجيوش واضحاً مثل ضوء الكوكب، يقول: [3]

أَبَنِي زِيَادٍ أَنْتُمُ في قَوْمِكُمْ ذَنَبٌ ونحن فَرْعُ أَصْلٍ طَيِّبُ
نَصِلُ الخَميسَ إلى الخميسِ وَأَنْتُم بالقَهْرِ بين مُرَبِّقٍ ومُكَلِّبِ [4]
لمَّا رَأَوْني في الكَتِيفَةِ مُقْبِلاً وَسْطَ الكَتِبَةِ مِثْلَ ضَوْءِ الكَوْكَبِ[5]

ويفتخر عمرو بقومه زبيد فهي من تلبي نداء الحرب بالرماح التي هي مثل نوى القسب، وهو من يقود القوم إلى تلك الحرب فإن بدت الشمس وطلعت أوثقوا قوم سليم بن منصور بالحديد، وفي هذا ما يدلل على أن عمراً كان يعطي نتيجة

---

1. مَرّ: وادٍ في وائلة من بلد همدان، عالج: موضع فيه رمل بنجد، وأبين: وادٍ كبير يمتد من جنوب جبال اليمن حتى بحر اليمن.
2. حِلال: بيوت الناس، صلاطح: وادٍ بين نجران ووائلة.
3. الزبيدي، ديوانه، ص 65-66
4. القَهْر: موضع باليمن، مُرَبِّق: من يشد الغنم بالحبل والحلقة، مُكَلِّب: الصائد بالكلاب
5. الكتيفة: الجماعة.

للحرب قبل وقوعها، ثقة منه بنفسه وبقومه وبحسن أدائهم في القتال، فهو يرى أن زبيداً خير من يحسن القتال إذا اشتجر القنا، وأول من يسرج خيولهم إذا نادتهم ساحات الوغى، يقول[1]:

وَمِثْلُ زُبِيدٍ حينَ يَشْتَجِرُ القَنَا وَقَدْ قُلِبَتْ تَحْتَ السُرُجِ لُبُودُهَا
أَتَتْكَ زُبَيْدٌ بالرِماحِ كَأَنَّها نَوَى القَسْبِ، عمرو للقاءِ يقُودُها[2]
فمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمسِ حتى تَوَثَّقَتْ سُليمُ بن مَنْصُور عليها حديدها [3]

3.1.2.2 القبيلة تستغيث بفارسها:

ويرسم لنا عمرو صورة القبيلة وهي تستغيث به قبل الحرب، فهذه مذحج تستغيث بعمرٍو على هوازن التي أثقلت كاهلها بالضرب والقتل، وأسر الرجال منها وبطلب المال، فيستجيب قلب عمرو لنداء القبيلة، رغم قلة المال، بل كلّ ما يملكه خيلا سريعة في ساحة الحرب، يقحمها في القتال بقوة وبطش، ملاقيا غرة الجيش، أينما كانوا في السهل، أو في سفوح الجبال، يقول[4]:

أَلَمْ تَرَنَي إِذْ ضَمَنَي البَلَدُ القَفْرُ سَمِعْتُ نِدَاءً يُصْدِعُ القَلْبَ يا عَمْرو
أَغِثْنَا فإنَّا عُصبَةٌ مَذْحِجِيَّةٌ نُنَاطُ على وَفْرٍ وليس لَنا وَفْرُ [5]
تُكَلِّفُنَا يا عَمْرو مَا ليْسَ عِنْدَنَا هَوَازِنُ فانْظُرْ ما الَّذي فَعَلَ الدَّهْرُ

---

1. خريسات، محمد، عصام عقلة،(2012)، الفاصل بين الحقِّ والباطل في مفاخر قحطان واليمن، المؤلف مجهول، دار اليازوري العلمية، ص 194
2. نوى القسب: التمر اليابس يتفتت بالفم، وله نوى صلبة شديدة، والمقصود هنا أن رماح زبيد مثل نوى ذلك التمر لا تتكسر بسهولة لصلابة القوم المحاربين بها.
3. سُليم بن منصور: قبيلة تنسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، انظر جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص 102. وبنو سليم قبيلة عربية كانوا ومازالوا يقيمون بالحجاز، ونجد، ومع ظهور الإسلام هاجر الكثير منهم إلى خرسان وفارس والعراق ومصر والمغرب والأندلس.
4. الزبيدي، ديوانه، ص 119
5. نُنَاط: ناط الشيء علَّقه، الوَفر: المال الكثير.

فَقُلْتُ لِخَيلِي أَنْظِرُوني فَإِنَّني سَرِيْعٌ إِلِيْكُمْ حين يَنْصَدِعُ الفَجْرُ
وأَقْحَمْتُ مُهْرِي حين صَادَفْتُ غِرَّةً على الطَّفِّ حتَّى قِيلَ قَدْ عُقِرَ المُهْرُ[1].

4.1.2.2 حالة القبيلة الاقتصادية قبل المعركة:

ولا يغفل عمرو أن يعرج على الحالة الاقتصادية للقوم، قبل نشوب الحرب، فالدهر عنده يومان، يوم يجدُون فيه السرور والراحة، فيلبسون الحرير، ويأكلون الثريد، ويوم يقارعون فيه العدو، فيلبسون الحديد، ويأكلون الكعك اليابس، إلَّا أنَّه يركز على أنهم قوم حرب لا راحة لهم.وراحتهم تكون في ركوب الخيل، ومقارعة السيوف والرماح، فقد قضى العمر محاربا، كما قضت شمط اليهود عمرها تتعبد في كنائسها، ولا يُطرِب عمراً إلا صوت السيوف التي تضرب الخوذ، فلها رنين كرنين غناء العرس عندما تُزفُّ أبكار الصبايا، تلك الأوصاف تثبت أنَّ عمراً وقومه أهل قتال سواء أكانوا في سعة من العيش وبحبوة، أو كانوا في عسرة من حالهم وضنك، يقول[2]:

فَيَوْماً تَرَانَا في الخُزُوزِ نَجُرُّها وَيَوْماً تَرَانَا في الَحَدِيدِ عَوَابِسَا[3]
ويَوْماً تَرَانَا في الثَرِيدِ نَبُسُهُ ويَوْماً تَرَانَا نَكْسِرُ الكَعْكَ يَابِسَا[4]
عَمَرْتُ مَجَالَ الخَيْلِ بِالبِيضِ والقَنَا كَمَا عَمَرَتْ شُمْطُ اليَهُودِ الكَنَائِسَا[5]
وَنَسْمَعُ للهِنْدِيِّ في البَيضِ رَنَّةً كَرَنَّةِ أَبْكَارٍ زُفِفْنَ عَرَائِسَا [6]

---

1. الطَّف: ساحل البحر، وسفح الجبل، والمقصود أنه يجابه الأعداء أينما كانوا.
2. الزبيدي، ديوانه، ص 126- 127.
3. الخزوز: ثياب تُنْسج من الحرير، الحديد: المقصود الدروع.
4. الثريد: هو أن تفت الخبز ثم تبله بالمرق، نبسه: نفتُّه.
5. شُمْط: جمع أشمط، وهو من خالط البياض سواد شعره.
6. البَيْض: جمع بيضه، وهي الخوذة.

2.2.2 قوم عمرو في دائرة الحرب:

مثلما استطاع عمرو أن يصف قومه قبل الحرب، بصور متعددة، نجده يصفهم في أثناء المعركة، والحرب مستعرة، لتكون صورة الحرب لديه مكتملة، فقد اتجه شعره إلى تأجيج المشاعر البطولية، سواء أكانت تلك المشاعر في الفرد أو في الجماعة، أو في إلهاب حمية القوم إلى الاندفاع وخوض غمار الحرب وتحقيق النصر وأسبابه. [1]

ويرى سعد الجبوري أن نتاج الشعر الحربي الذي قاله الشاعر في ساحة المعركة، لا يكون موافقا لأنماط الشعر الحربي الذي قيل خارج ساحات المعارك. [2] والسبب في ذلك أن الشعر الذي قيل في ساحات الحرب يكون أكثر إصابة في تصوير الحرب ونارها، ويكون فيه الشاعر متأجج العواطف ينطق عن قريحته دون سابق إنذار أو تفكير، يصور لنا الحرب وهو حامل لسيفه، محتم بدرعه، لا يتخير اللفظ ولا يرتب الأفكار، بل يكون شعره صدىً لأصوات السيوف التي تقطر دماً، ونغما للرماح التي تتطاعن، وموسيقا للسهام التي تتطاير، ذلك هو التصوير الصحيح والصائب لساحات الحرب، وهو من يوصل لنا الحقيقة، وهو من يكون دوره الإعلامي بارزاً وواضحاً، أفضل من ذلك الشعر الذي يراقب الحرب من بعيد ثم يحاول وصفها ونقل صورها.

1.2.2.2 معجب بفعال القبيلة في الحرب:

وعمرو من الشعراء الذين يصفون الحرب من داخلها، وهي في قمة ذروتها، وفي أوج اشتعالها، ببراعة وإتقان، فعندما هبط جيش قومه مكان رَنْيَةَ، الذي يشبهه بالسحاب لكثرته، ولبأسه وقوته، فالسيوف في أياديهم مثل المناديل التي يلعب بها الصبية، خفيفة بين أيديهم، بتّارةً قطَّاعةً لإعدائهم، فتلك السيوف هي من تشفي غليل حقد قومه وضغنهم على أعدائهم، تلك السيوف المصبوغة بصبغة

---

[1]. المزايدة، صورة الشاعر المحارب في الشعر الجاهلي دراسة تحليلية وتأويلية، ص 69

[2]. الجبوري، سعد، (2000م) البناء الفكري والفني لشعر الحرب عند العرب قبل الإسلام، مؤسسة الرسالة، ص91

حميريَّه؛ لغلاء ثمنها، وقوتها، وجودة صنعها، لا يشهرونها إلَّا في وجوه أعدائهم، فاستطاع وقومه أن يرد الصاع صاعين للعدو بقهرهم وذلهم، حتى أن أعداءهم حلفوا برب البيت أن لا يحاربوا من هول ما لقوه من عمرو وقومه، لينهي هذه الصورة بمنظر الرماح التي تكسرت في ساحة الحرب، قاصدا بهذا المنظر والمشهد بأن شوكة عدوه قد كُسِرت، ولن تقوم لهم قائمة بعد ذلك، يقول[1]:

فَلَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَ رَنْيَةَ بالقَنَا ... أرَنَّ سَحابٌ رَعْدُهُ مُتَجَاوِبُ [2]

وَسُلَّتْ سُيُوفُ الهِنْدِ مِنَّا كَأَنَّها ... مَخَارِيقُ نالَتْهَا أَكُفٌّ لَوَاعِبُ [3]

بِهَا نَتَشَافَى الغِلَّ في ذَاتِ بَينِنا ... وَتَرْهُو بِأَيْدِنَا سُيُوفٌ قَوَاضِبُ [4]

مُشَهَّرَةٌ أَلْوَانُهَا حِمْيَرِيَّةٌ ... تَرَانَا بِهَا نَسْعَى إِذَا مَا نُضَارِبُ

فَكِلْنَا لَهُمْ بالصَاعِ صَاعَيْنِ عَنْوَةً ... فَآلُوا بِرَبِّ البَيْتِ أَنْ لَا يُحَارِبوا[5]

وَمَنْزِلَةٌ فيها العَوَالِي كَأَنَّها ... هَشِيمُ شِجَارٍ كَسَّرَتْها الحَوَاطِبُ[6]

2.2.2.2 لائماً قبيلته:

ولا يقف الشاعر المحارب عند خط المشاركة في الحرب، وعند نقل أحداثها وتصويرها فحسب، ولا عند تمجيد بطولات القوم، وذكر وقائعهم، بل يكون لائما ومؤنبا قومه على تقصيرهم في الحرب، وقد لا يقف الحد به عند اللوم فحسب بل يولد عنده حالة من الثورة على تلك القبيلة، التي لم تلبِّ طموحاته الحربية، ولم تشفِ أغاليله القتالية، فهو كان يرى بالقبيلة ما يعكس صورته في ساحة المعركة، فإن كان صلبا شديدا مقاتلا ذا بأس وشجاعة، تطلب الأمر من القبيلة أن تكون كذلك، لاعتقاده أنهما وجهان لعملة واحدة، وهي عملة تحسن الضرب بالسيف والمقارعة بالرمح،

---

1. الزبيدي، ديوانه، ص 61
2. رَنْيَةَ: اسم وادٍ، أَرَنَّ: صَوَّتَ، وأراد بالسحاب جيش قومه لكثرة سواده.
3. المخاريق: جمع مِخْراق، وهو المنديل الذي يُلَفُّ لِيُضْرَبَ به، لعبة يلعب بها الصبيان.
4. نتشافى الغل: المقصود أنَّ كل فريق يشفي حقده من الآخر، القواضب: السيوف القاطعة.
5. العَنْوة: القَهْر، آلَى: حَلَفَ.
6. الشِّجر: خَشب الهودج.

وتصطاد العدو بالسهم كاصطياد الفريسة، خيبة الأمل تلك في القبيلة هي من وجهت أبا ثور إلى لوم قبيلة جرم على تقصيرهم في القتال داخل ساحة المعركة، فبعد أن تجهز القوم للحرب، وركبوا الخيول، ولبسوا الدروع، وحملوا البيض، وتغطوا بالبَيْض، إلا أنهم ولَّوا فارين من ساحة المعركة.

فيرسم صورة لقومه، وهو يهتف مناديا عليهم، فجاءته عصابة من زبيد، ولكنها لم تصل إلى ما كان يأمل، فقد رجعت تلك العصبة هاربة فارَّة، لتترك في نفسه أسئلة كثيرة، فعلام يحمل السلاح؟ ولما يُثقل كاهله به إذا لم يستخدمه في الحرب والقتل؟ فخيبة الأمل التي واجهها من قومه، جعلت فكرة ترك السلاح واردة عنده، لنجد أن هذا اعتراف آخر من عمرو بأن حدَّثَ نفسَه في ترك القتال، وهذا اعتراف خطير من فارس بطل معتزٍّ ببطولاته وفروسيَّته، وربما يكون هذا الاعتراف لتحفيز القوم على القتال، فإن تخلَّى عنهم فارس مثل عمرو فأين يكون موقعهم بين القبائل، فهم معتزون كثيرا به، فهو القائد لهم، وصوتهم ولسانهم، وسيفهم الذي يقصمون به ظهر الأعداء، وبعد هذه الأفكار والأسئلة يرجع عمرو إلى نفسه القديمة ليتذكر فِعاله في الحرب، فهو من عقر خيل ابني دريد، ولم يحتفل أو يهتم بالقرابة والمصاهرة بينهم، ولكنه لا يملك الحيلة أمام هذا العدو سوى أن يدعو على قومه بالهلاك، كلما أشرقت الشمس وطلعت، واصفهم بالكلاب التي تستعد للقتال بكل شراسة لكنها لا تفعل، يقول[1]:

هَتَفْتُ فَجَاءَتْ مِنْ زُبَيْدٍ عِصَابَةٌ ... إِذَا طَرَدَتْ فَاءت قَرِيباً فَكَرَّتِ[2]

عَلَامَ تَقُولُ الرُمْحُ يُثْقِلُ عَاتِقِي ... إِذا أنا لَمْ أَطْعُنْ إِذا الخَيْلُ كَرَّتِ

عَقَرْتُ جَوَادَ ابْنَي دُرَيْدٍ كِلِيْهِما ... وما أَخَذَتْنِي في الخُتُونَةِ عِزَّتِي[3]

لَحَا اللهُ جَرْماً كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ ... وُجُوهَ كِلابٍ هَارَشَتْ فَازْبَأَرَّتِ[4]

---

1. الزبيدي، ديوانه، ص72
2. فاءت: رجعت.
3. الخَتَن: أبو امرأة الرجل، أو أخوها، أو أحد أقربائها.
4. لحا الله: أهلكهم الله، ذرَّ شارق: طلعت الشمس، وجوهَ: نُصِبت كلمة وجوه على الشتم والمذمة، هارشت: تشاجرت، فازْبأرَّتِ: استعدَّت للقتال.

ويكمل عمرو لومه وتأنيبه للقبيلة، فيقف ليصدَّ الرماح ويدرأها عن أبناء قومه، ولكنَّهم خذلوه بفرارهم، فرغم ما أعدته جَرْم من عدة وسلاح ورجال، إلّا أنّها ابذعرّت أمام قبيلة نهد، ذلك السبب منع عمرو من الافتخار بقومه والاحتفال بهم، فلسانه أصبح مجرورا، كما يُجَرُّ لسان الفصيل كي لا يرضع من أمه، وكأن رماح القوم هي من تجعل الشاعر ينطق مفتخرا بهم معتزًّا بفعالهم الحربية، لكن إجرار رماحهم وسكوتها عن القتال هي من أجرَّت لسانه. يقول[1]:

ظَلَلْتُ كَأَنِّي للرِمَاحِ دَرِيْئَةٌ أُقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ [2]

فَلَمْ تُغْنِي جَرْمٌ نَهْدَهَا إِذْ تَلاقَيَا وَلَكِنَّ جَرْماً في اللِّقاءِ ابْذَعَرَّتِ[3]

فَلَو أنَّ قَوْمي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُم نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتِ [4]

3.2.2.2 فتيان القبيلة يحاربون:

ويركِّز عمرو على صورة الفتية في شعره، وكأنّه لا يصطحب من قومه إلى الحرب إلّا الفتيان، وقد يكون ذلك لسببين، الأول: إنَّ الحرب لا تحتاج إلّا للفرسان الأشداء الذين يقتحمون ساحاتها، فإن شبّت نار الحرب، فهو لا يحتاج لحكمة الشيوخ ولا لآرائهم، بل يحتاج إلى من يحسن حمل السلاح والقتال به، والسبب الثاني: إنَّه لا يغامر بشيوخ القبيلة وحكمائها، بل يسعى إلى الحفاظ عليهم وعلى كرامتهم، فلا يجرُّهم إلى ساحات المعركة، التي قد يكون فيها الهزيمة أو النصر، فيرسم صورة من داخل الحرب لفتية اصطحبهم من أبناء الحرب، على خيل جرد ضامرة مثل القداح، ليصابح بهم بني زياد، طالبا قتالهم، ومن شدة ذلك القتال أصبحت الخيل الجرد، تتعثَّرُ بالرماح، وتركض مكرهة على القتال، فالدّم يلتصق بجسدها، ولكنّها مثل الطائر نحيل الجسم الذي يطير بخفّة ورشاقة، وهذه الحرب لا تبشر بالسعادة،

---

1. الزبيدي، ديوانه، ص 73
2. دريئة: أي يتصدّى للرماح.
3. ابذعرَّت: تفرَّقت.
4. أجرَّت: الإجرار أن يشقَّ لسان الفصيل لئلا يرضع.

أو السرور، بل تحمل الجديَّة بين أحضانها، ونذير شؤم، مثل الطائر الشمالي الذي يجلب الخراب بقدومه. يقول[1]:

وَكَمْ مِنْ فِتْيَةٍ أَبْنَاءُ حَرْبٍ ... على جُرْدٍ ضَوَامِرَ كَالقِدَاحِ [2]
صَبِحْتُ بِهِمْ بِيُوتَ بني زِيادٍ ... وَجُرْدُ الخَيْلِ تَعْثُرُ بالرِّماحِ
بِسَاهِمَةٍ خُضِبْنَ بِجَادِياتٍ ... سَوَابِقُهُنَّ كَالحِدَأ الشِّحَاحِ [3]
وَصَفٍّ ما تَسَايَرُ حُجْرَتاهُ ... تُبَشِّرُهُ الأَشَائِمُ بالشِّيَاحِ [4]

4.2.2.2 **القبيلة المؤمنة**:

ومن الصورة الجميلة التي نقلها عمرو لنا من داخل الحرب، صورة قومه المؤمنين الذين واجهوا الفرس في معركة القادسيَّة، فكانوا هم الحماة، المدافعين عن الإسلام، مثل الأشطان، يضربون بالأبيض كل حاقد وحسود، لينالوا طاعة الرحمن ويفوزون بمرضاته، فاستباحوا قرى السواد، وسيطروا على السهول والجبال، ودمَّروا دولة فارس، يقول[5]:

والقَادِسِيْةُ حَيْثُ زَاحَمَ رُسْتُمٌ ... كُنَّا الحُمَاةَ نَهُزُّ كالأَشْطَانِ [6]
الضَّارِبِين بِكُلِّ أَبْيَضٍ مِخْذَمٍ ... والطّاعِنِينَ مَجَامِعَ الأَضْغَانِ [7]
وَمَضَى رَبِيْعٌ بالجُنُودِ مُشْرِّقاً ... يَنْوِي الجِهَادَ وَطاعَةَ الرَّحْمنِ
حتَّى اسْتَبَاحَ قُرَى السَّوادِ وفَارِسٍ ... والسَّهلَ والأَجْبالَ مِنْ مُكْرانِ [8]

---

1. الزبيدي، ديوانه، ص 76
2. القداح: السهم قبل أن يُنَصَّل أو يُرَاش.
3. ساهمة: الخيل المكروهة على الجري، الجاديات: ما لصق بالجسم من الدَّم. الحِدَأ: نوع من الطيور.
4. الأشائم: الطير الذي يكون نذير شؤم، الشِّياح: الجدِّيَّة من الأمر.
5. الزبيدي، ديوانه، ص 174
6. الأشطان: جمع شَطَن، وهو الحبل الطويل، وشبه الرمح به.
7. المخذم: القاطع، الأضغان: الأحقاد.
8. مُكْران: اسم بلد في بلاد فارس.

وقد رسم عمرو صورا رائعة، للقبيلة من أرض المعركة، فصورها وهي تقتل أعداءها ليكون مفتخرا بذلك، محتفلا بفعالها، لينتقل إلى لومها وتأنيبها للتقصير بالحرب، ليعود ويعتز بفتيان قومه المحاربين، فكانت مشاهدَ رائعة، رسم بها عمرو حالة القبيلة وهي في وسط المعركة.

3.2.2 **قوم الشاعر بعد الحرب.**

عند استعراض عمرو لقومه قبل الحرب، وفي دائرتها، نجده إمَّا مفتخرا بهم، أو لائما لهم، أو واصفا أداءهم في ساحات القتال، وهو كذلك لم يغفل عن تصوير قومه بعد الحرب، سواء أكانوا منتصرين أو مهزومين، فإن انتصروا نجده يفتخر ويحتفل بهم، فقد ذاق طعم حلاوة النصر، وإن انهزموا نجده يلومهم، ويعاتبهم على التقصير في ساحة المعركة، فقد ذاق مرارة الهزيمة وقساوتها، وفي هذا يقول سعد الجبوري:" إنَّ أغلب الشعر الذي قيل بعد الحرب قد أنبأ عن قدرة الشاعر في استلهام حدث الحرب ومعالجة تفاصيله بأناةٍ وتروٍّ، تهيئان له فرصة الكشف عن مفاهيمه الفكرية التي استمدها من قيم المجتمع التي نعتقد بأنها كانت تستدر أقصى طاقات بطولة الفرسان الحربية، ولا سيَّما أن معظم تلك المفاهيم انبثقت من مناخ الحرب أو تأصَّلت في أجوائها، كتقبيح صورة الحرب، وكراهيتها، أو الإنصاف الحربي، أو رثاء فرسان المعركة أو معاملة الأسير".[1]

1.3.2.2 **القبيلة تهزم:**

ومن النتائج الحربية التي ينقلها لنا عمرو عن قومه بعد الحرب، أنَّهم استطاعوا هزيمة جيش صعدة، بالرِّماح، يوم بَوَار، حتى أنَّ جحافل قومه تمكَّنوا من إعلاء الجُنْد بالغبار، فأصبح مثل الشيخ المعصوب بالخمار، فاستطاعوا الحصول على الغنائم الكثيرة، يقول[2]:

---

[1]. الجبوري، البناء الفكري والفني لشعر الحرب عند العرب قبل الإسلام، ص100

[2]. الزبيدي، ديوانه، ص 122

وَنَحْنُ هَزَمْنَا جَيْشَ صَعْدَةَ بالقَنَا وَنَحْنُ هَزَمْنَا الجَيْشَ يَوْمَ بَوَارِ[1]
جَوَافِلَ حَتَّى ظَلَّ جُنْدٌ كَأَنَّه مِنَ النَّقْعِ شَيْخٌ عَاصِبٌ بِخِمَارِ[2]

ويصور عمرو العدو مهزوما، تدوسهم الخيل، كما يدوس طباخ القدور الكرادس، في أرض معركة ترى فيها المَحْدُوس والحادس، يتساقون فيها الأبطال الموت، مثل الحَنِيِّ هزلها السير، يقول[3]:

لَدُسْنَاكُمُ بالخَيْلِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا دَاسَ طَبَاخُ القُدُورِ الكَرَادِسَا[4]
بِمُعْتَرَكٍ شَطَّ الحُبَيَّا تَرَى بِه مِنَ القَوْمِ مَحْدُوساً وَآخَرَ حَادِسَا [5]
تَسَاقَتْ بِه الأَبْطَالُ حَتَّى كَأَنَّها حَنِيٌّ بَرَاهَا السَّيْرُ شُعْثاً بَوَائِسا[6]

2.3.2.2 **القبيلة تَأْسِرُ**:

ومن الصور التي رسمها عمرو لقومه بعد الحرب، صورة الاعتزاز بتحرير الأسرى، والفخر بالعودة بأسرى العدو، فيُنْجي أسرى من بني مذحج من قبيلة هوازن، قد كانوا ينادون عليه بأن يحلَّ وثاقهم، فيلبي النداء ويحررهم من الأسر، وليس ذلك فقط، بل يعود بأسرى كانوا يحاولون قتله فلم يمنعهم عن قتله، إلّا مسافة فتر فقط، يقول[7]:

فأَنْجَيْتُ أَسْرَى مَذْحِجٍ مِنْ هَوَازِنٍ ولَمْ يُنْجِهِمْ إِلَّا السَّكِينَةُ والصَّبْرُ
ونَادَوا جَمِيعاً حُلَّ عَنَّا وِثَاقَنَا أَخَا البَطْشِ إِنَّ الأَمْرَ يُحْدِثُهُ الأَمْرُ
وَأُبْتُ بِأَسْرَى لَمْ يَكُنْ بَيْنَ قَتْلِهِمْ وَبَيْنَ طِعَانِي اليَوْمَ مَا دُونَه فِتْر

---

[1]. بَوَار: ملك من ملوك اليمن.

[2]. جُنْد: اسم جبل، النَّقع: غبار المعركة.

[3]. الزبيدي، ص126

[4]. الكرادس: رؤوس العظام.

[5]. الحُبَيَّا: اسم موضع قرب نجران، المحدوس: المقتول المصروع.

[6]. حَنِي: الناقة الضامر التي تشبه القوس، براها السير: هزلها، شعث: المتلبد شعره.

[7]. الزبيدي، ديوانه، ص119.

وممَّا يُثْبت لنا أنَّ عمراً بن معد يكرب كان إعلاميا ماهرا، ذا قدرة عالية على تصوير الأحداث الحربية بمحاورها كافة، ومن جميع جوانبها، فهو يسجّل لنا أسماء الأسرى الذين أمسك بهم، بعد تحرير أسرى قومه، فيقول[1]:

يَزِيدٌ وعمرٌو والحُصَيْنُ ومَالِكٌ وَوَهْبٌ وَسُفْيَانٌ وَسَابِعُهُمْ وَبْرُ

ويشدُّ القوم وثاق عدو لهم، بعد أن أروهم العَجب من قوة القتل والضرب. فقومه يمشون في حَلَق الماذي، على رأسهم قائد مغوار، يقودهم فارسهم الأول، الذي خلت سيره من العَنَف، يقول[2]:

لَقَدْ شَدَدْتُ وَثَاقاً مِنْهُ مُبْتَدِئاً والقَلْبُ مِنْهُ لِمَا قَدْ رَابَهُ يَجِفُ
يا ابْنَي نِزَارٍ لَقَدْ لَاقِيْتُمَا عَجَباً مِنَّا وَمِنْ سَادَةٍ عَنْ فِعْلِكُمْ أَنِفُوا[3]
يَمْشُونَ في حَلَقِ المَاذِي يَقْدُمُهُمْ ضَخْمُ الدَّسِيْعَةِ مَا في سَيْرِهِ عَنَفُ[4]

3.3.2.2 تفضيل القبيلة على نفسه:

وتميز عمرو بأنَّه كان يُفَضِل قومه على نفسه، فبعد أن يحلم القوم يأتي حلمه، وبعد أن يفنى زاده، يفنى زاد القوم، وكيف لا يفعل ذلك وهو فارسهم وبطلهم، الذي يعتزون به ويفتخرون يقول[5]:

وَيَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ القَوْمِ حِلْمي وَيَفْنَى قَبْلَ زَادِ القَوْمِ زادِي

وهذه إشارة من عمرو بأنّه هو القائد الذي يصلح لقيادة القوم، فمن شروط القائد الناجح إيثار القوم على نفسه.

---

1. الزبيدي، ديوانه، ص 119
2. الزبيدي، ديوانه، ص 152
3. ابني نزار: المقصود عامر وأبوه الطفيل.
4. الماذي: الحديد، والمقصود هنا الدِّرع، الدَّسيعة: العطيَّة، وهنا دليل الكرم.
5. الزبيدي، ديوانه، ص 110

4.3.2.2 رثاء أبناء القبيلة:

لا يغفل الشاعر المحارب عن رثاء أصدقاء الحرب الذين قاتل معهم، وخاصة إن كان أولئك المحاربون من الأبطال الذين تشهد لهم ساحات الحروب بحسن الفعال وبالشجاعة في الإقدام ومواجهة العدو.

فهذا عمرو يبقى وحيدا مثل السيف واقفا صامدا وفردا. بعد أن فقد من أبناء قومه من كان يحبهم، ويشهد لهم بشجاعتهم وبسالتهم، ومشهد بقائه مثل السيف دليل على أن هذا المحارب لا يمكن أن تزعزعه خطوب الدنيا ومصائبها، فسيبقى صَلْدا ثابتا مهما حاولت تلك المصائب زعزعته. يقول عمرو[1]:

أُغنِّي غَنَاءَ الذّاهِبِيْـــ نَ أَعُدُّ للأَعْداءِ عدَّا
ذَهَبَ الَّذينَ أُحِبُّهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السَيْفِ فَرْدا

3.2 قوم القعقاع بن عمرو التميمي محاربين.

لم يغفل القعقاع بن عمرو التميمي دور القبيلة وأهميتها في الحرب، بل نجده يعتمد عليها بشكل أكثر، وأكبر مما هي عليه عند عمرو بن معد يكرب، وخاصة أن القبيلة التي يتكلم عنها القعقاع لا تجمعها روابط الدَّم، بل تجمعها رابطة العقيدة والدِّين، وهذه الرابطة تشكل تماسكا وانسجاما أكثر، لوجود مرجعيَّة دينية، ينتمي إليها أكبر عدد من النَّاس من مختلف الأجناس والأطياف، فالقعقاع كما نعلم، لم يكن له شعر في جاهليته، ولنكن أكثر دقَّة لم يصلنا شيء من شعره في جاهليته؛ لذلك لم يبرز عنده عنصر القبيلة صاحبة الرابطة الدَّميَّة، بل جاء شعره بعد إسلامه فخرا واحتفالا بما فعله المسلمون، الذين هم قبيلته، من فتوحات ومعارك قهرت أكبر الممالك، ودحرت أعظم الجيوش، فكان واصفا ممتازا للفتوحات الإسلامية، مصوِّرا بارعا لساحات الحرب والمعركة، وإعلاميًّا بارزا في نقل صورة الحرب كما هي وكأننا نراها على أرض الواقع، وكان كذلك جغرافيا ماهرا ينقل حركة الجيوش الإسلامية الفاتحة، راصدا في شعره الأماكن التي سار بها جيش المسلمين.

---

[1].الزبيدي، ديوانه، ص 82

كما لم يغفل القعقاع ذكر أسماء القادة والجنود سواء من قومه المسلمين، أو من أعدائه الذين يواجههم.

1.3.2 قوم القعقاع قبل الحرب:

ذكر بعض الباحثين أن الشاعر المحارب هو من لديه القدرة على وصف الحرب بأحوالها ومناظرها كافة، وصفا لا يترك فيه صغيرة أو كبيرة إلَّا وينقلها، ومن أهم تلك الأوصاف والمناظر، ذكر حال القوم قبل اندلاع الحرب، وهذا الذكر يشتمل على استعداد القوم بالعدّة والعتاد للحرب، كما يشتمل على خطط القوم للحرب، وعلى تحركاتهم وأماكن انتقال الجيوش، وعلى حالهم النَّفسية قبل اندلاع الحرب، وعلى مدى إيمانهم بقائدهم وفرسانهم في تحقيق النصر.

والقعقاع بن عمرو التميمي، كغيره من الشعراء الفرسان استطاع أن يصوِّرَ قومه قبل الحرب بكلِّ دقَّة ووضوح، ناقلا تلك الصور، التي ذكرنا، برمَّتها وبطريقة شاملة مميزة، تظهر مدى البراعة الشِّعرية لديه، والقدرة العالية على التصوير، ذلك لأنَّ القعقاع لم يكن متفرِّجا بعيدا عن أجواء الحرب، بل كان محاربا قائدا فيها، يساهم في وضع الخطط الحربيَّة وفي تنفيذها، يشرف على استعدادات الجيوش وحركتها.

1.1.3.2 رصد حركة القوم:

يذكر أن قومه وطئوا أرض الكواظم يطلبون لقاء هرمز، وعند الثني عندما لقوا قارن، مثل الجوارف، فقد أحاطوا بقصورهم في الحيرة، يقول[1]:

فَنَحْنُ وَطِئْنَا بالكَوَاظِمِ هُرْمُزاً وبالثّنِي قَرْنَي قَارِنٍ بالجَوَارِفِ [2]

وَيَوْمَ أَحَطْنَا بالقُصُورِ تَتَابَعَتْ عَلَى الحِيْرَةِ الرَّوْحَاءِ إِحْدَى المَصَارِفِ[3]

---

[1]. التميمي، ديوانه، ص51.

[2]. الكواظم: موقع في العراق، هرمز: اسم قائد فارسي، قارن: اسم قائد فارسي، الجوارف: آلة الجرف.

[3]. الحيرة: مدينة بالعراق.

ويصف الشاعر ضخامة قومه وقوتهم في يوم الوَلَجَة، فهو لم يرَ مثلهم في ولجات البر، ولا أشدَّ منهم في القتال، ولا أنجب منهم في التخطيط الحربي، فهم يقطعون رؤوس الأعداء وقادتهم. يقول[1]:

ولَمْ أَرَ قَوْماً مِثْلَ قَوْمٍ رَأَيْتُهُمْ عَلَى وَلَجَاتِ البَرِّ أَحْمَى وَأَنْجَبَا[2]

وأُقْتَلَ وللرُوَّاسِ في كلِّ مَجْمَعٍ إذَا ضَعْضَعَ الدَّهْرُ الجُمُوعَ وكَبْكَبَا[3]

2.1.3.2 رسائل حربية للقوم:

ويستخدم القعقاع الرسائل الشعرية، في ذكر حال قومه قبل الحرب، فيرسل برسالة إلى قومه بني أُسيد، وهم من بني تميم، فيخبرهم أنَّ قومه المسلمين قد أعدّوا الجيوش وساروا بها للقاء جموع الزمازم، وأنَّهم اجتمعوا في وادي خرد، فكانت سهام قومه ورماحهم التي أعدُّوها للحرب مثل الشهب ومثل النسور القشاعم.

ولعل هذه الرسالة التي أرسل بها القعقاع إلى قومه بني تميم، هي رسالة معنويَّة أكثر منها حقيقيَّة، فهو يريد أن يقول أنَّ عزَّة الإسلام ومنعته أكبر وأعظم من منعة العشيرة وعزتها، فقوَّة الإيمان بالله تعالى هي من تجلب النصر في الحرب، وليس قوة القوم أو سلاحهم، ففي نهاية تلك الصورة التي نقلها إلى قومه يبيِّن مصير أولئك الأعداء، فقد تمَّ القضاء عليهم بالقتل وملئت شعاب الجبال بجثثهم، وقد أفعمهم اللهب الذي بالصرائم، يقول[4]:

أَلَا أَبْلِغْ أُسَيْداً حَيْثُ سَارَتْ ويَمَّمَتْ بِمَا لَقِيَتْ مِنّا جُمُوعُ الزَّمَازِمِ

غَدَاةَ هَوَوا في وَأْيِ خُرْدٍ فَأَصْبَحُوا تَقودُهم شُهُبُ النُّسُورِ القَشَاعِمِ[5]

قَتَلْنَاهُمُ حَتَّى مَلَأْنَا شِعَابَهُم وَقَد أُفْعِمَ اللَّهَبُ الَّذي بالصَّرَائِمِ[6]

---

1. التميمي، ديوانه، ص 143
2. وَلَجَة: اسم موضع، أنجب: أذكى وأفطن.
3. كبكبا: صرع وغلب.
4. التميمي، ديوانه، ص 165
5. وأي خُرد: وادٍ في نهاوند
6. الصرائم: جمع صريمه وهو العزم والقطيعة.

ويستخدم أيضا أسلوب الرسائل مرّة أخرى، فيرسل إلى من يسمع شعره ويقرأه أنباء قومه التي تصعد في الفيافي بأنَّهم توقوا منازلهم، وأعدُّوا الخيل والسمر الثقاف، فما كان منهم إلَّا أن قسموا أرضهم قسمين، ليهرب العدو وقائدهم المرزاب من أمام تلك الجيوش الإسلاميَّة، يقول[1]:

أَلَمْ يَأْتِيْكَ والأَنْبَاءُ تُنْمي وَتَصْعَدُ في المَلَمَّعَةِ الفَيَافِ [2]
تَوَقَيْنَا وَمَنْزِلُنَا جَمِيعاً أَمَامَ الخَيْلِ بالسُّمْرِ الثِّقافِ [3]
قَسَمْنَا أَرْضَهُم نِصْفَينِ حَتَّى نَزَلْنَا مِثْلَ مَنْزِلِهِمْ كِفَافِ
دُعَاه مَا دَعَوْنَا آلَ كِسْرى وَقَدْ هَمَّ المِرْزَبُ بانْصِرافِ [4]

2.3.2 قوم القعقاع في دائرة الحرب:

كما استطاع القعقاع أن يرسمَ صورة لقومه قبل الحرب، تمكَّن من رسم صورة لهم في دائرة الحرب وفي أثنائها، فالشَّاعر المحارب، من يستطيع فقط أن ينقل صورة الحرب من داخل المعركة، وخاصة عندما تشتدُّ الخطوب ويعلو غبار المعركة، وتتنادى الخيل وتندفع للقتال[5]، والقعقاع ممن يحسن تلك الأوصاف، ويستطيع نقل صورة الفرسان الذين يحاربون في ساحة المعركة، وليس صورة الفارس بمفرده فقط، بل صورة القبيلة التي تثبت في ساحة القتال، وتواجه الأعداء بالسهام والرماح وبالسيوف المشرفيّة، لينقل لنا صوراً حيَّة واقعيَّة، صوراً تنبض فيها الحياة وكأننا نشاهد معركة على شاشات الرائي، تلك الصور الحربية التي نقلها القعقاع عن قومه أثناء الحرب هي من أضفت على شعره الصياغة المحكمة والتشبيه البليغ الصادق.

---

1. التميمي، ديوانه، ص 109
2. الفياف: الصحراء
3. السُّمر الثِّقاف: الرماح
4. المرزاب: قائد الفرس.
5. القيسي، نوري حمودي،(د،ت)، الفروسية في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة، بغداد، ص26

1.2.3.2 القوم يسيطرون على المعركة:

يصوِّر خوف الأعداء من قومه في ساحة الحرب، فقد رَمَوهم برامية الذُّعاف، ففتحوا نهر شير، بكلمة الحقِّ التي يحملونها ويدافعون عنها، فطارت قلوب الأعداء خوفا، لمّا رَأَوا البيض الخفاف بين أيدي قوم القعقاع، يقول[1]:

وَمَا إنْ طَبُّهُمْ جُبْنٌ وَلَكِنْ رَمَيْنَاهُمْ بِرَامِيَةٍ ذُعَافِ [2]

فَتَحْنَا نَهْرَ شِيْرَ بِقَوْلِ حَقٍّ أَتَانَا لَيْسَ مِنْ سَجْعِ العَوَافِ [3]

وَقَدْ طَارَتْ قُلُوبُ القَوْمِ مِنَّا وَهدُّوا الضَّرْبَ بالبِيْضِ الخِفَافِ

ويرسم القعقاع صورة لمعركة فتح دمشق من داخلها، مظهرا سيطرة قومه على مجريات المعركة، فقومه يفضُّون بابها عنوةً، فيجبرون أهلها على الاستسلام، مشبها تلك الحرب التي شنَّها قومه على أعدائهم بالرحى، التي تطحن الحبوب، ليكون في نتاجها مَبْعَث الحياة البشريَّة[4]، ولا يكتفي بأن يجعلوا حربهم مثل الرحى، بل يحفِّزهم على جزِّ ذُرى العدو بالغلاصم، يقول[5]:

فَضَضْنَا بِهَا البَابَ العِرَاقِيَّ عُنْوَةً فَدَانَ لَنَا مُسْتَسْلِماً كُلُّ قَائِمِ

أَقُوْلُ وَقَدْ دَارَتْ رَحَانَا بِدَارِهِمْ أَقِيْمُوا لَهُمْ جَزَّ الذُّرَى بالغَلَاصِمِ[6]

---

[1]. التميمي، ديوانه، ص 109

[2]. الذعاف: السريع.

[3]. نهر شير: نهر يقع إلى الغرب من المدائن، وعنده وقعت موقعة بين المسلمين والفرس، فاقتتلوا قتالا شديدا، وبارزوا أمير الفرس، وهو شهريار، فتله رجل من المسلمين يقال له، نائل الأعرجي. أنظر البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ج7، ص71، العواف: ما يظفر به الإنسان ليلا من الصيد.

[4]. الرفوع، خليل، (2006)، صورة الحرب في الشِّعر الجاهلي، مجلَّة جامعة قطر للآداب، العدد 28، ص 110

[5]. التميمي، ديوانه، ص: 71

[6]. الغلاصم: اللحم بين الرأس والعنق، أو أصل اللسان.

2.2.3.2 التخطيط السليم من أرض المعركة:

ويضع القوم خططا حربية ناجعة للخلاص من العدو فبعدما رتب العدو للقائهم وحبسهم في موضع الزَّمازم، استطاعوا أن يتخلصوا من ذلك بل ويفرضوا سيطرتهم على العدو بقتله، وتشتيت صفوفه، وطرده إلى القيعة، ليستخدموا رماحا كالنهر، رماحا يكون فيها الموت للعدو، ومبعثا للحياة لجيوش المسلمين. يقول[1]:

فَنَحْنُ حُبِسْنَا بالزَّمَازِمِ بَعْدَمَا أَقَامُوا لَنَا في عَرْصَةِ الدَّارِ تَرْتُبا
قَتَلْنَاهُمُ مَا بَيْنَ قَلْعٍ ومُطْلَقٍ إلى القِيْعَةِ الغَبْرَاءِ يَوْماً مُطَنِبَا[2]

ويصارعون الروم في معركة الهُبُود، فتركوهم صرعى في يباب، مشتتين مثلما حصل لقوم ثمود، فيقول[3]:

أَلَمْ تَسْمَعْ بِمَعْرَكَةِ اليهودِ غَدَاةَ الرُّوْمُ حَافِلَةَ الحُشُود
غَدَاةَ الرُّوْمُ صَرْعَى في يَبَابٍ تَنَهْنَهَا القَبَائِلُ مِنْ ثَمُوْدِ [4]

3.2.3.2 إظهار نتيجة المعركة من داخلها:

يظهر القعقاع نتيجة معركة قومه وهم يحاربون، وهذه ثقة عالية بمن يحارب معهم، فهو يرى فيهم الإصرار على النَّصر، والسعي للنيل من العدو بكل عزيمةٍ وهمةٍ عاليتين، فبعد أن أحاطوا بقصور عدوهم، كادوا أن يهدموا عرش الفرس، وأن يميل بهم لأفعالهم الجبانة الخسيسة، فرموهم بالقبول، حتى شربوا كأس الموت،يقول القعقاع [5]:

وَيَوْمَ أَحَطْنَا بالقُصُورِ تَتَابَعَتْ عَلَى الحِيْرَةِ الرَّوْحَاءِ إِحْدَى المَصَارِف
حَطَطْنَاهُمْ مِنْهَا وَقَدْ كَادَ عَرْشُهُمْ يَمِيْلُ بِهِمْ فِعْلَ الجَبَانِ المُخَالِفِ
رَمَيْنَا عَلَيْهِمْ بِالقَبُوْلِ وَقَدْ رَأَوا غَبُوقَ المَنَايَا حَوْلَ تِلْكَ المَحَارِفِ

---

1. التميمي، ديوانه، ص 143
2. القيعة: جمع قاع، مُطنَّبا: النهر طال مجراه، وهو الرمح المعوج.
3. التميمي، ديوانه، ص 146
4. يباب: الخراب، تنهنها: النهنهة، الزجر والكفُّ.
5. التميمي، ديوانه، ص 51

3.3.2 قوم القعقاع بعد المعركة:

عندما تضع الحرب عدَّتها وأوزارها، وبعد أن تكون صاحبةَ مقارعةٍ حاميةٍ دامية، نجد قرائح الشُّعراء تستذكرُ ما حدث في تلك الحرب، فتبدأ بتصوير المعارك بعد وقوعها، مظهرةً في هذا التصوير نتاج تلك المعارك وما آلت إليه،" فأغلب الشعر الذي قيل بعد الحرب، قد أنبأ عن قدرة الشاعر في استلهام حدث الحرب ومعالجة تفاصيله بأناة وتروٍّ، تهيئان له فرصة الكشف عن مفاهيمه الفكريَّة التي استمدَّها من قيم المجتمع.... ولا سيَّما أنَّ تلك المفاهيم انبثقت من مناخ الحرب أو تأصَّلت في أجوائها، كتقبيح صورة الحرب وكراهيتها، أو الإنصاف الحربي، أو رثاء الفرسان، أو معاملة الأسير".[1]

وبما أنَّ شعرَ القعقاع يعدُّ وثيقةً تاريخيَة بالغة الأهميَّة، لما احتواه ذلك الشِّعر من تصوير دقيق، ومعانٍ بارزة، فقد قال الشعر في أغلب المعارك التي اشترك بها، وصوّرها بشعره، تصويرا يتَّفقُ مع الأحداث التاريخية اتفاقاً تاماً، وينسجم مع جوِّ المعارك انسجاماً رائعاً، فبعد أن كان يصف المعركة قبل حدوثها، وفي أثنائها، يصفها، أيضا، بعد وقوعها، مصوِّراً نتائجها، وما حصَّلَ قومه منها، وما فعلوه بأعدائهم، وكيف استطاعوا هزيمتهم وفتح الحصون والقلاع، لقد أحاط القعقاع بشعره جوانب معارك قومه كلها.

1.3.3.2 القوم يَهزِمون:

وأجاد القعقاع الوصف حين ذكر فوز قومه في معركة اليرموك، مفتخرا معتزَّا بهذا النَّصر، فقد فاز قومه في تلك المعركة، كما فازوا بأيام العراق وبمعاركها، ففتحوا بُصرى التي كانت محرَّمة الجِناب، وكذلك عذراء المدائن، ومرج الصفّرين، فقتلوا من أقام لهم بالسيوف الرِّقاق، وفضُّوا جموعهم في الواقوصة. إن تلك النتائج التي ذكرها القعقاع نستطيع من خلالها استنتاج وثيقة جغرافيَّة تاريخيّة، نحدد بها مسار جيوش الفتح الإسلامي، فقد اعتمد كثير من المؤرخين على شعر القعقاع في رسم الملامح التاريخيَّة والجغرافيَّة لحركة الجيوش الإسلامية من أمثال

---

[1]. الجبوري، البناء الفكري والفني لشعر الحرب عند العرب قبل الإسلام، ص 100

البلاذري في فتوح البلدان، والحموي في معجم البلدان، يقول القعقاع واصفا نتائج معركة اليرموك وغيرها من المعارك التي خاضها جيش المسلمين[1]:

أَلَمْ تَرَنَا عَلَى اليَرْمُوكِ فُزْنَا كَمَا فُزْنَا بأيَّامِ العِرَاقِ
فَتَحْنَا قَبْلَها بُصْرَى وكَانتْ مُحَرَّمَةَ الجِنَابِ لَدَى التَّلاقِي
وعَذْرَاءَ المَدَائِنِ قَدْ فَتَحْنَا وَمَرَجُ الصَّفَرَينِ على العِتَاقِ [2]
قَتَلْنَا مَنْ أَقَامَ لَنَا وَفِينَا بِهَا بِهِمِ بأسْيَافٍ رِقَاقِ
قَتَلْنَا الرُّومَ حتَّى ما تُسَاوي على اليَرْمُوكِ مَفْروقَ الوِرَاقِ [3]
فَضَضْنَا جَمْعَهُمْ لمَّا اسْتَحَالُوا على الوَاقُوصَةِ البُتَرَ الرِّقَاقِ [4]

ويعطي القعقاع خلاصة تلك المعركة بالقضاء على قائد الفرس، معرِّجاً على الحال الجسديِّة التي مرَّ بها قائد الفرس، فخدُّه مرتجف، بعد القتل، تاركين حصيداً لا أنيس فيها، مشفين غليلهم من الأعاجم وقادتهم، وقبل أن نورد أبيات القعقاع نلحظ دقَّة الوصف الرائعة عنده، فهو لا يهتمُّ فقط بذكر الحال النفسيَّة للعدو بل يركِّز على الحركات الجسديَّة، التي تساعد على إيقاع الخوف في نفس العدو، فارتجافة خدِّ القائد من القتل، هي ارتجافةٌ نفسيَّة في قلوب جنوده. يقول القعقاع واصفا تلك النتيجة التي آلت لها معركة الحصيد[5]:

وَرُوزٌ قَتَلْنَا حَيْثُ أَرْجَفَ خَدُّهُ وكُلُّ رَئِيْسٍ رَازَنَا بالعَظَائِمِ
تَرَكْنَا حَصِيْداً لا أَنِيْسَ يَجُرُّهُ وقَدْ شَفِيَتْ أَرْبَابُهُ بالأَعَاجِمِ

---

1. التميمي، ديوانه، ص 86
2. عذراء المدائن: مدينة دمشق.
3. الوراق: الوقت الذي يورق فيه الشجر.
4. الواقوصة: اسم موضع في بلاد الشام، تلاقى فيه المسلمون والروم في معركة اليرموك.
5. التميمي، ديوانه، ص 166

ويهتم القعقاع بإظهار نتائج قومه في المعارك اهتماماً كبيراً، وهذا يعدُّ من حسن الوصف لما بعد المعركة، فقومه يلاقون بالفِرَاضِ[1] جموع الروم والفرس، بعدما كانوا ينعمون بالسلام، فأبادَ القوم جموعهم، فأصبحوا مثل الغنم السَّوام، يقول[2]:

لَقِيْنَا بالفِرَاضِ جُمُوعَ رُوْمٍ وَفُرْسٍ عَمَّهَا طُوْلُ السَّلَامِ
أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ لَمَّا التَقَيْنَا وَبِيَّتْنَا بِجَمْعِ بَنِي رِزَامِ
فَمَا فَتِئَتْ جُنُوْدُ السِّلْمِ حَتَّى رَأَيْنا القَوْمَ كَالغَنَمِ السَّوَامِ

ولا يكتفي القعقاع بذكر نتائج معارك قومه وحسب، بل يذكر عدد من قتل القوم، مظهرا صورة جديدة لديه، وهي الاهتمام بإحصاء الخسائر البشريّة التي أوقعها قومه بأعدائهم، فقد قتلوا معشراً من الرجال، وزاد عليهم أربعة وخمسة وواحدا، يقول[3]:

نَحْنُ قَتَلْنَا مَعْشَراً وزائدا
أَرْبَعَةً وَخَمْسَةً وَوَحِداً

2.3.3.2 **قتل القادة**:

ومن الصور التي ركّز عليها القعقاع بعد الحرب، قتل القادة، قادة الأعداء، فيقتلون مهران قائد الفرس، في معركة الجَلُوْلاءِ[4]، ويفنون بني فارس بالكتائب، يقول[5]:

---

1. الفراض: موضع بين البصرة واليمامة، قرب خليج من ديار بكر بن وائل، جرت فيها معركة بين المسلمين والفرس والروم، سنة 12 هـ، أنظر، الحموي، معجم البلدان، ج4، 443-444.
2. التميمي، ديوانه، ص: 62.
3. التميمي، ديوانه، ص102
4. الجلولاء: بلدة في العراق، حفر المسلمون حولها خندقاً للقاء الفرس فيها، وقد شارك القعقاع في هذه المعركة.
5. التميمي، ديوانه، ص: 116.

وَنَحْنُ قَتَلْنا في الجَلَوْلاءِ أَثَابِراً وَمَهْرَانَ إِذْ عَزَّتْ عَلَيْهِ المَذَاهِبُ
وَيَوْمَ جَلَوْلاءَ الوَقِيْعَةُ قد أَفْنَتْ بَنُو فَارِسٍ لَمَّا حَوَتْهَا الكَتَائِبُ

3.3.3.2 رثاء القوم:

وبعد معركة القادسيَّة يقدِّم لنا القعقاع صورة أخرى من صور القوم بعد الحرب، وهي الرثاء، فلا يغفل القعقاع عن رثاء أبناء قومه المسلمين، الذين أبلوا بلاءً حسنا في القتال، مستخدما أسلوب الدعاء للمَيْت، فهو يدعو له بالسُّقيا من الله، وهذا الأسلوب راجع إلى التعاليم الدينية التي تربى عليها القعقاع، متوعِّدا بأخذ الثأر له ممن قتلوه، يقول[1]:

سَقَى الله يَا خَوْصَاءُ قَبْرَ ابنِ يَعْمُرٍ إِذا ارْتَحَلَ السُّفَارُ لَمْ يَتَرَحَّلِ
سَقَى الله أَرْضاً حَلَّهَا قَبْرُ خَالِدٍ ذَهَابَ غَوَادٍ مُدَجَّنَاتٍ تُجَلْجِلِ
فَأَقْسَمْتُ لا يَنْفَكُّ سَيْفِي يَجُسُّهُمْ فَإِنْ رحلَ الأَقْوَامُ لَمْ أَتَرحَّلِ

فلم يغفل القعقاع رثاء أبناء دينه الذين أظهروا شجاعة وبسالة في القتال.

2. 4 مقارنة بين قومي الشاعرين:

لقد لاحظ الباحث أنَّ كلا الشاعرين استطاع أنْ يصف قومه في الحرب، بصور دقيقة بارعة، لم تغفل تلك الصور أيَّ جانب من جوانب الحرب، فمثلما استطاع عمرو بن معد يكرب أن يصف القوم قبل الحرب وبعدها وفي دائرتها، استطاع القعقاع بن عمرو التميمي أن يفعل الشيء نفسه.

مثلما عرّج عمرو بن معد يكرب على ذكر أماكن القتال ووقته، كذلك فعل القعقاع الشيء نفسه في شعره، وفي الوقت الذي ترك لنا القعقاع إحصائيات للقتلى، ولأسماء القادة الذين خاض الحروب معهم، أو ضدَّهم، نجد أنَّ عمراً لم يسهُ عن ذلك، وكما وصف عمرو التجهيزات العسكرية لقومه، سواء من الخيل الجرد أو

[1]. التميمي، ديوانه، ص: 162

الرماح العوالي، أو السيوف الهنديَّة، أو البِيَض التي تحمي رؤوس المقاتلين، أو التجهيزات البشرية بإعداد الجند، لم يُغْفل القعقاع، ذلك.

وكما صور القعقاع قومه يلبون نداء الحرب ويجابهون خطرها، ويديرون رحاها، نجد عمراً فعل الشيء نفسه، فجعل قبيلته ملبية لنداء الحرب وساعية للسير نحوها، رغم ما تحمل من شرور وشؤم، وكراهية.

وكما أعطى عمرو نتائج حروب قومه، سواء قبل المعركة أو أثنائها أو بعدها، نجد القعقاع يرسم الصور نفسها، وبدقة عمرو وبراعته.

تلك هي الصور التي اجتمع القعقاع بن عمرو التميمي، وعمرو بن معد يكرب عليها، في تصوير القوم وبيان أحوالهم القتالية.

ولكن هناك بعض الصور المهمة التي تميز بها أحدهما عن الآخر يمكن أن نجملها في النقاط الآتية:

أولا: كان عمرو بن معد يكرب يتخذ من غرض الهجاء وسيلة لوصف القوم قبل المعارك، وهذا الأمر لا نجده عند القعقاع، ربما يعود ذلك إلى أنَّ عمراً قد استخدم هذا الأسلوب قبل الإسلام، فتعاليم الدين الإسلامي تمنع التعرض للآخرين بالهجاء والذم والقدح.

ثانيا: برزت قضية لوم القبيلة عند عمرو بن معد يكرب على تقصيرهم في الحرب وخذلانهم له في ساحات القتال، في الوقت الذي لم تظهر نهائيا عند القعقاع، بل بقي القعقاع طوال شعره معتزًّا بجيش قومه مفتخرا ببطولاته.

ثالثا: اهتم القعقاع بن عمرو بقضية قتل القادة، لما في ذلك من وقع في قلوب الأعداء ولتأثيرها النفسي العميق عليهم، ولكن عند عمرو لا يفرق بين الجند والقادة فكُلهم أعداء بالنسبة له.

رابعا: اهتم عمرو بن معد يكرب بحماية سمعة القبيلة، والدرء عنها بأي وسيلة حتَّى لو بقي يحارب وحيدا، يصدُّ الرماح عن قومه. بينما القعقاع لم يفعل ذلك؛ لأنَّ إيمان قومه بالله وعدم خوفهم من العدو لقوة عقيدتهم جعلتهم يثبتون في ساحة القتال.

خامسا: ركَّز عمرو على صورة فتيان القبيلة تركيزا شديدا، فهو لم يصطحب من قومه إلا الفتيه، ولكن القعقاع كل القبيلة أو القوم بالنسبة له يجيدون القتال ويفتخر بهم، وربما يعود هذا إلى أنَّ قوم القعقاع كلٌّ منهم يسعى إلى أمرين إمَّا النّصر أو الشهادة، بينما الذي يهم عمرو هو هزيمة الأعداء والقضاء عليهم.

سادسا: اهتم القعقاع اهتماما أكثر بذكر الأماكن التي حارب فيها قومه، فكان شعره من ناحية الوصف الجغرافي والتاريخي أكثر شمولا ودقة، فكان يسمي المعارك بأسمائها ويضيف إليها أماكن حدوثها، إضافة إلى ذكر أسماء القادة، وخاصة قادة العدو، بعكس عمرو الذي اهتم بالصور الحربية الحركية أكثر.

الفصل الثالث

العدو المحارب

1.3 وصف العدو:

بعد أن يصف الشاعر العربي المحارب نفسه في ساحات المعارك، وبعد أن يفتخر بقومه وبقبيلته التي يحارب إلى جنبها، لابدَّ أن يفرد شيئا من شعره للعدو الذي يواجهه، فيرسم له العديد من الصور، فتارة يصوره وهو مهزوم يفرُّ من أرض المعركة، وتارة أخرى يصور استعداداته الحربية، وترتيباته للمعركة، وأخرى يصور فيها العدو مأسورا محبوسا بين براثن جيشه، ولا يغفل الشاعر المحارب عن ذكر أسماء قادة العدو أو من يحارب، كما لا يفوته أن يفتخر بنفسه أمام العدو وبأن الأعداء هم من يتمنون لقاءه.

أما العدو لغة: فهو من العدوان وهو الظلم الصراح، وقد عدا عَدْواً وَعَدَاءً وعُدُوًّا وعُدْوَاناً وعِدْواناً، كلُّه من الظلم، وتجاوز الحد[1]. وقال تعالى:" وَلَا تَتَّبِعُوْا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِيْنٌ"[2]

ويعرف كثير من الباحثين العدو أو العدوان، بأنه الإخلال في المعاملة و العدالة، وبسوء الاعتداء في قول أو فعل أو حال، وهو تجاوز المقدار في الظلم والجور على الناس.

ووصف العدو لم يكن محصورا على مرحلة شعريَّة محددة، فليس هو حبيس الشعر الجاهلي أو الإسلامي فقط، بل ورد شعر وصف العدو في العصور كافة، وعلى ألسنة أغلب الشعراء المحاربين، فنجد شعراء العصر العباسي والأندلسي والمملوكي قد وصفوا أعداءهم بطرق مختلفة وصور متعددة.

---

[1]. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (2004)،مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، مادة عَدَوَ.

[2]. القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 168

فمن العصر المملوكي نجد أبا شامة المقدسي في كتاب الروضتين، يذكر قصيدة للعماد الأصفهاني يمدح فيها القائد صلاح الدين الأيوبي على ما فعله في عدوه الإفرنج يقول العماد[1]:

بَنُو الأَصْفَرِ الإِفْرِنْجِ لَقُّوا بِبِيْضِهِ وَسُمْرِ عَوَالِيْهِ مَنَايَاهُمْ حُمْرَا

وهذا يدلل على أن ذكر حال العدو وما جرى لهم لم يكن مقصورا على عصر أو زمن محددين.

ولم يكتفِ الشعراء الفرسان بذكر هزائم العدو فقط، بل كان منهم ما يسمى بالمنصف الذي يذكر محاسن العدو وحسن بلائه وشجاعته في القتال، فيشير غازي طليمات وعرفان الأشقر إلى هذا النوع من الشعر فيقولا:" وربما كانت المنصفات أروع ما قيل في هذا الشعر وأحفله بمشاعر إنسانية راقية، وأبعده عن الحقد والكراهية، في هذا الشعر تخفت أصوات الفخر،....، وتمازج العداوة الصداقة،...، ويصور العدو اللدود بصورة الصديق الودود، ويضع الشاعر نفسه في موضع خصمه، فيعبر عما في نفس الخصم"[2].

ففي حماسة أبي تمام نجد جوانب من المنصفات، والتي يسميها البحث الاعترافات فالشاعر المحارب البطل هو من يعترف بقوة عدوه وبشجاعته وهو من يذكر الحقائق ويوصلها بصدق وأمانة، ومن أبرزها قصيدة زاهر أبي كرم التميمي، عندما قتل خصما يقال له تيم فأنشد قائلا[3]:

لله تَيْمٌ أيُّ رُمْحِ طِرَادِ لاقَى، الحِمَامَ بِهِ، وَنَصْلُ نِجَادِ

وَمَحِشَّ حَرْبٍ مُقْدِمٍ مُتَعَرِّض للمَوْتِ غَيْرَ مُعَرِّدٍ حَيَادِ

---

1. المقدسي، أبو شامة، (1997)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة، و انظر فيصل صلاح الدين أصلان، شعر الصراع مع الفرنجة، ص66

2. طليمات، غازي، وعرفان الأشقر، (1992)، الأدب في العصر الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، دار الإرشاد، حمص، ص 150

3. أبو تمام، حبيب بن أوس، (1992)، الحماسة، شرح المرزوقي، دار الجيل، بيروت، ط1، ص 672

كَاللَيْثِ لا يَثْنيْهِ عَنْ إِقْدَامِهِ تخَوفُ الرَّدَى وَقَعَاقعِ الإِيعَادِ

وقد لا يكون المدح للعدو مدحا فردياً، بل يتعدى لمدح القوم العدو، والاعتراف بقوتهم وبالهزيمة أمامهم، ولا يكون ذلك غرضا للمدح فقط بل يكون جلدا للذات للتقصير أمامهم في القتال، ومن ذلك المدح، قول الأعشى[1]:

وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ الحِنْوِ صَبَّحَهُم مِنّا كَتَائِبُ تُزْجِي المَوتَ فانْصَرَفوا

جَحَاجِحُ وَبَنُو مُلْكٍ غَطَارِفَةٌ مِنَ الأَعَاجِمِ في أَذَانِهَا النُطَفُ

إِذا أَمَالوا إلى النُشّابِ أَيْدِيَهُم مِلْنَا بِبَيْضٍ فَظَلَّ الهَامُ يُخْتَطَفُ

3. 2 العدو المحارب في شعري عمرو بن معد يكرب والقعقاع بن عمرو التميمي.

استطاع عمرو بن معد يكرب، والقعقاع بن عمرو التميمي، أن يصفا العدو المحارب بصور متعددة، رسموها بتجربة شعرية بارعة، نابضة من قلب ساحات الحروب، متميزة بالصدق وعدم المبالغة الشعرية، لأن شعرهما كان صورة للواقع، ناقلا للحدث مباشرة، من غير تغيير.

وعند استعراض صور العدو في شعرهما نجد أن كلا الشاعرين اهتم بصورة العدو المهزوم، وبصورته وهو مأسور محبوس، وكيف تمنى العدو لقاءهما، أو تمنوا لقاء العدو، وسنتعرض لمجموعة من الصور التي رسمها الشاعران في شعرهما.

1.2.2 العدو مهزوماً:

كانت هزيمة العدو أول بابٍ يدخل فيه الشاعر المحارب إلى طريق الفخر بنفسه أو بقبيلته، " فكان يستطيع بشعره أن يَفُتَّ في عضده، ويضعف روحه المعنوية بتضخيم هزيمته، وتعظيم ما أوقع به قومه، وبعث الخور والضعف والاستسلام في نفسه؛ ولاشكَّ أنَّ فخر الشاعر بقومه، والإشادة بما قاموا به من بطولة، وما حازوه

---

[1]. الأعشى، ميمون بن قيس، (1992)، شرح ديوان الأعشى الكبير، تحقيق وشرح حنَّا نصر الدين الحتي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، ص 210

من نصر، كان يجره إلى ذكر الأعداء المهزومين، والمبالغة فيما لاقوه من إهانة وتعذيب، ورميهم بكشف سيئاتهم، وظهور ضعفهم، مما يدمغهم بالخزي والعار، ومن الواضح أنَّ ذلك ميدان فسيح للهجاء والذم"[1].

فعمرو بن معد يكرب، يذكر كيف هزم عدوا له، فرَّد لهم الصاع صاعين، حتَّى أن العدو حلف برب البيت أن لا يحارب[2]:

فَكِلْنَا لَهُمْ بالصَّاعِ صَاعَيْنِ عِنْوَةً فَآلُوا بِرَبِ البَيْتِ أنْ لا يُحَارِبُوا

لقد صور عمرو مدى الهزيمة التي أوقعها قومه بأعدائه، فوصل به الفخر بقومه، والاستهزاء بالعدو أن يتوقف عن القتال لمجرد أنّه لاقى قوم عمرو، ويرى الباحث أن ذلك كلُّه عامل نفسي يريد عمرو من خلاله دبَّ الرعب في نفوس أعدائه وتشتيت صفوفهم، فبعد تلك الهزيمة أصبحت رماحهم متكسِّرة، كهشيم الأشِّجار. يقول[3]:

وَمَنْزِلَةٌ فِيْهَا العَوَالِي كَأَنَّهَا هَشِيمُ شِجَارٍ كَسَّرَتْهَا الحَوَطِبُ

ويرسم عمرو صورة أخرى للعدو المهزوم، فقد طاعنهم بالرمح حتى تفرقوا، وضربهم بالسيف حتى تكسروا، عاملا بوصية أبيه وأبي أبيه، فسار على ما أوصوه، يقول[4]:

وَطَاعَنْتُهُمْ بالرُّمْحِ حَتَّى تَبَدَّدَوا وَضَارَبْتُهُمْ بالسَّيْفِ حَتَّى تَكَسَّرُوا

بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي وَأَبُو أَبِي بِذَلِكَ أَوْصُوْنِي فَلَسْتُ أُقَصِّرُ

ويجالد عمرو أعداءه ويفتخر بهزيمتهم، فيذكر كيف أنه هزم الفرس في نهاوند، ونال منهم، فلم يلاقِ الفرسان فقط، بل واجه أفيال الفرس وفرسانهم، يقول[5]:

أَلا هَلْ أَتَاهَا مِنْ نَهَاوَنْدَ أَنَّني أُمَارِسُ أَبْطَالاً لَهَا وَفُيُولا

أُمَارِسُ فِيْلاً بَعْدَ فِيْلٍ وَأَنَّنِي أُكَافِحُ فُرْسَاناً لَهَا وَخُيُولَا

---

1. الجندي، علي،(د،ت)، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص67
2. الزبيدي، ديوانه، ص 61
3. الزبيدي، ديوانه، ص 61
4. الزبيدي، ديوانه، ص 190
5. الزبيدي، ديوانه، 191

ولا يتوقف عمرو عن رسم صور العدو المهزوم، فيصور قومه وهم يضربون العدو بسيوف حارثيَّة، ويرشقوهم بالسِّهام الفارسيَّة، ويطعنوهم برماح داعصيَّة، يقول[1]:

فَاثْبِتُوا للقَوْمِ ضَرْباً بِسُيُوفٍ حَارِثِيَّة
وَارْشُقُوا للقَوْمِ رَشْقاً بِسِهَامٍ فَارِسِيَّة
إِذْ يَرَوْنَ الطَّعْنَ مِنَّا بِرِمَاحٍ دَاعِصِيَّة

ويوم القادسية يبارز عمرو رجلا من الأعاجم، فيقتله عمرو، دابًّا الرعب في قلوب أعدائه، مصوراً نفسه بالفارس الحامي، وبالليث الهصور الغشمشم، يحمل سيفه الصمصامة، ليقتل به عدوه الأعجمي، تاركاً النسور تحوم فوق جثته، يقول[2]:

لَقَدْ عَلِمَتْ خَيْلُ الأَعَاجِمِ أَنَّنِي أَنَا الفَارِسُ الحَامِي إِذَا النَّاسُ أَحْجَمُوا
وَأَنِّي غَدَاةَ القَادِسِيَّةِ إِذْ أَتَوْا بِجَمْعِهِمْ لَيْثٌ هَصُورٌ غَشَمْشَمُ
شَدَدْتُ عَلَى مَهْرَانَ لَمَّا لَقَيْتُهُ بِكَفِّيَ صَمْصَامُ العَقِيْقَةِ مِخْذَمِ
فَغَادَرْتُهُ يَكْبُو لِحُرِّ جَبِيْنِهِ عَلَيْهِ نُسُورٌ وَاقِعَاتٌ وَحُوَّمِ

ويرسم عمرو صورة للعدو الهارب، فيُوقِعُ الهزيمة في بني الحارث، تاركهم يهربون مخلفين وراءهم السَّوام، وكلَّ خريدةٍ، تاركين نساءهم تصيح وتعولُ على ما ألمَّ بهنَّ من وقع تلك الحرب، يقول عمرو[3]:

يَخْتَبُّ بِيَ العَطَّافُ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ لَيْسَتْ عَدَاوَتُنَا كَبَرْقِ الخُلَّبِ [4]
وَاسْتَيْقَنُوا مِنّا بِوَقْعٍ صَادِقٍ هَرَبُوا وَلَيْسَ أَوانَ سَاعَةِ مَهْرَبِ
تَرَكُوا السَّوَامَ لَنَا وَكُلَّ خَرِيْدَةٍ بَيْضَاءَ خَرْعَبَةٍ وَأُخْرَى ثَيِّبِ [5]

---

1. الزبيدي، ديوانه، ص192
2. الزبيدي، ديوانه، ص 196
3. الزبيدي، ديوانه، ص 67
4. يَخْتَبُّ: من الخَبَب وهو العدو، العَطَّاف: فرس عمرو، البرق الخلب: الذي لا غيث فيه.
5. السَّوام: الإبل الراعية، الخريدة: البكر من النساء، الثَّيب: ليست بكراً، الخَرْعَبَة: الشَّابة الحَسَنة.

عَجَّتْ نِسَاءُ بَنُو زِيادٍ عَجَّةً كَعَجِيْجِ نِسْوَتِنَا غَدَاةَ الأرْنَبِ [1]

ولا ينكر عمرو أنَّ قومه تعرضوا للهزيمة، بل يعترف بذلك بكل صدق، فمثلما تعرضت نساء بني زياد للسبي والأخذ، وللعويل والصياح على قتلاهم، تعرضت نساء قومه للشيء نفسه يوم معركة الأرنب.

وقد لا يكون عدو عمرو فارساً يركب على جواده، متحصِّناً بدرعه، لابساً سَيفه معتزًّا برمحه وقوسه، بل قد يكون عدوه الذي هزمه أسدا هصورا، هزبراً ضخماً، فيصف رجلا يقال له بِشر، لاقى أسداً فقتله، مصورا شراسة ذلك الأسد، فأنيابه كنصل الرماح، وعيونه جمرٌ يحترق، ووجهه عبوسٌ مكفهر، ولكنَّ الأسدَ لسوء حظه لاقى ليثاً هصوراً، وهزبراً لا يخاف قعقعة صوته، ولا وقع خطواته، يقول عمرو[2]:

أَفَاطِمَ لَوْ شَهِدْتِ بِبَطْنِ خَبْثٍ وَقَدْ لاقَى الهِزَبْرُ أَخَاكِ بِشْرا
إِذَنْ لَرَأَيْتِ لَيْثاً رَامَ لَيثاً هِزَبْراً أَغْلَباً يَبْغِي هِزَبْرا
وَقُلْتُ لَهُ قَدْ أَبْدَى نِصَالاً مُحَدَّدَةً وَوَجْهاً مُكْفَكِرّا
يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ وَبِحَدِّ نَابٍ وَبِاللَحَظَاتِ تَحْسَبُهُنَّ جَمْرا
وَقَلْبي مِثْلُ قَلْبِكَ لَسْتُ أَخْشَى مُصَاوَلَةً وَلَسْتُ أَخَافُ ذُعْرا

وكما وجدنا العدو مهزوما وفارا عند عمرو، نجده كذلك عند القعقاع، فلم يغفل عن تصوير العدو المهزوم الهارب، الذي يفرُّ من براثن جيش القعقاع وقومه، فيقاتل مع قومه ويملأ الشعاب من جثث أعدائه، يقول[3]:

قَتَلْنَاهُمْ حَتّى مَلَأْنَا شِعَابَهُمْ وقَدْ أُفْعِمَ اللَّهَبُ الَّذي بالصَّرائِمِ

وفي يوم اليرموك يصور القعقاع هزيمة الروم، فقد قتلهم قومه بسيوف رقيقة، ففرقوا جموعهم، وشتتوا صفوفهم، يقول[4]:

قَتَلْنَا مَنْ أَقَامَ لَنَا وَفِيْنَا نهابُهُمُ بأَسْيَافٍ رِقَاقِ

---

[1]. العجَّة: الصوت، الأرنب: اسم موضع.

[2]. الزبيدي، ديوانه، ص 202

[3]. التميمي، ديوانه، ص 165

[4]. التميمي، ديوانه، ص 86

قَتَلْنَا الرُّومَ حَتَّى مَا تَسَاوَى عَلَى اليَرْمُوكِ مَفْرُوقَ الوِرَاقِ
فَضَضْنَا جَمْعَهَمْ لَمَّا اسْتَحَالُوا عَلَى الوَاقُوصَةِ البُتْرِ الرِّقَاقِ
غَدَاةَ تَهَافَتُوا فِيْهَا فَصَارُوا إِلى أَمْرٍ تَعَضَّلَ بالزَوَاقِ

وهزيمة العدو عند القعقاع أحب إليه من لبن اللقاح، فقد فرَّق جموعهم، والخيل زورٌ، تَمُجُّ الأني، يقول[1]:

وَضَرْبُ كَتِيْبَةٍ وَطِعَانُ أُخْرَى أَلَذُّ إِليَّ مِنْ لَبَنِ اللُّقَاحِ
وَيَوْمَ تَذْهَبُ الأَلْبَابُ فِيْهِ أَقَمْتُ عَلَى خَوَلِيهِ البِطَاحِ
فَلَلْتُ جُمُوعَهُ وَالخَيْلُ زُوْرُ تَمُجُّ الأَنِيَّ أَو عَلَقَ الجِرَاحِ

وصورة الإلقاح التي ذكرها القعقاع من الصور "المستوحاة من طريقة تلقيح الفحول للنوق، فالحرب ناقة تُلَقح وتَحْمل وتَلِد، بيد أنَّ دلالة التلقيح تلك ترمز إلى من يروض الحرب ويَذِلُّ عنفوانَها، ويوجهها كما يريد ولا يستطيع ذلك إلا المحاربون الأشدَّاء" [2] والقعقاع من المحاربين الأشداء الذين استوحوا صور الحرب من واقعهم.

ويركِّز القعقاع على صورة قتل الأعداء، وملء شعاب الجبال من جثثهم، فيهرب قائدهم الفيروزان تراكضه الخيل ولكن لم يُنجه انفساحُ المخارم،يقول[3]:

مَلَأْنَا شِعَاباً في نَهَاوَنْدَ مِنْهُمْ رِجَالاً وَخَيْلاً أُضْرِمَتْ بالضَّرَائِمِ[4]
وَرَاكَضَهُنَّ الفَيْرُزَانُ عَلَى الصَّفَا فَلَمْ يُنْجِهِ مِنَّا إِنْفِسَاحُ المَخَارِمِ[5]

وتبقى فكرة انهزام العدو وقتله، تشغل بال القعقاع فقد تكررت هذه الصورة في شعره كثيراً، ففي يوم نهاوند، أيضاً، تُحسن القبائل جميعها القتال، فتترك

---

1. التميمي، ديوانه، ص 104
2. الرفوع، خليل، صورة الحرب في الشعر الجاهلي، ص 95
3. التميمي، ديوانه، ص 133
4. الضرائم: أشعال النار من دقيق الحطب.
5. إنفساح: اتساع

الفيروزان يولِّي هارباً مذعوراً من هول ما لقيَ من الجيش الإسلامي، فيقول القعقاع واصفاً تلك الموقعة[1]:

وَيَوْمَ نَهَاوَنْدٍ شَهِدْتُ فَلَمْ أَخِم ... وَقَدْ أَحْسَنَتْ فِيْهِ جَمِيْعُ القَبَائِلِ
عَشِيَّةَ وَلَّى الفَيْرُزَانُ مُوَايِلاً ... إِلى جَبَلٍ آبٍ حَذَارَ القَوَاصِلِ
فَأَدْرَكَهُ مِنَّا أَخُو الهَيْجِ والنَّدى ... فَقَطَّرَهُ عِنْدَ ازْدِحَامِ العَوَامِلِ
وَأَشْلاؤُهُمْ في وأْيِ خُرْدٍ مُقِيْمَةٌ ... تَنُوبُهُمْ عِيْسُ الذِّئَاب العَوَاسِلِ

2.2.2 **العدو مأسوراً**:

كانت القبائل العربية تكره الحرب لأسباب عديدة، فغير أنها نذير شؤم وخراب، ومجلبة لليتم والثكل، كانت هي السبب الرئيس للوقوع في الأسر، فالفارس العربي يكره أن يقع بين يدي أعدائه، لما في ذلك الأثر الكبير في نفوس قومه، فقد فقدوا فارساً من فرسانهم، بل قد يصبحون مَسَبَّةً بين العرب، فينعكس أسره على أعدائه، فيفتخرون بأسره وبأنَّهم استطاعوا أن يذلُّوا عدوهم، ويوجهوا لهم الصفعة القاسية الدَّامية، التي تبقى وصمة عارٍ على جبين قبيلة المأسور.

ومعاملة الأسرى تختلف بحال الأسير نفسه، وبمدى العداوة مع قومه، وبمكانة الأسير وأهميته بالنسبة للآسر أو لقوم المأسور، فيشير علي الجندي إلى هذا الأمر بقوله:" وكانت عاقبة الأسير تتوقف على الحال التي بين قومه وآسريه أو حلفائهم، فإذا كان بينهما، مثلاً، دم فإنَّ الأسير كان يُقتل أخذاً بالثأر، ولذلك كان الأسير إذا تيقن من أنَّه مقتول لا محالة، فإنَّه أحياناً كان يحاول أن يقتل نفسه بيده"[2]، وفي ذلك يقول عروة بن الورد[3]:

عَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَخْنُقُونَ أَنْفُسَهُم ... وَمَقْتَلُهُمْ تَحْتَ الوَغَى كَانَ أَجْدَرَا

---

1. التميمي، ديوانه، ص 161
2. الجندي، علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ص 45
3. الجندي، علي، ص 45، انظر ديوان عروة بن الورد، أمير الصعاليك،(1998)، دراسة وشرح وتحقيق، أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ص 74

أمَّا إن لم يكن الأسير عليه ثأرٍ مع آسريه، فكانوا يحافظون عليه، إلى أن يفتدى، أو يُطْلَقَ سَرَاحه لمجرد أن يعد القومَ بأن يفديَ نفسه، أو يُطلق منًّا عليه من أجل الفخر، أو وفاءً لعهد، أو إسداءً لمعروف، أو ردًّا لجميل، أو إكراماً لعظيم[1].

ومهما كانت الأسباب التي من أجلها يطلق الأسير، كان الأسر، بحدِّ ذاته عاراً لا تغسله السنون والأيام.

فهذا عمرو بن معد يكرب، يَرجعُ بأسرى من أعدائه، لم يكن يحول بين قتلهم إلَّا فترٌ فقط، مسجِّلا في شعره أسماء من أسر، وقد يكون ذلك إظهارا لقوته وشجاعته، أو يكون إذلالاً لمن أسر، ولقوم الأسرى، أو لعظم الأسرى الذين أوقع بهم، فيقول[2]:

وَأُبْتُ بِأَسْرَى لَمْ يَكُنْ بَيْنَ قَتْلِهِمْ وَبَيْنَ طِعَانِي اليَوْمَ مَا دُونهُ فِتْرُ

يَزِيْدٌ وَعَمْرو وَالحُصَيْنُ وَمَالِكٌ وَوَهْبٌ وَسُفْيَانٌ وسَابِعُهُمْ وَبْرُ

وبعد أنْ شدَّ عمرو وثاق أسراه، ولقوا منه العجب في القتال، يعفو عنهم معتبراً العَفو شرف وعِزّة وخاصة عندما يأتي بعدَ استجارة العدو به، يقول عمرو[3]:

لَمَّا اسْتَجارَ وَرَأسُ الرُّمْحِ مُعْتَدِلٌ عَفَوْتُ عَنْهُ وَبَعْضُ العَفْو لِي شَرَفُ

لَقَدْ شَدَدْتُ وَثَاقاً مِنْهُ مُبْتَدِئاً وَالقَلْبُ مِنْهُ لَمِا قَدْ رَابَهُ يَجِفُ

يَا ابْنَي نِزَارٍ لَقَدْ لَاقَيْتُمَا عَجَباً مِنَّا وَمَنْ سَادَةٍ عَنْ فِعْلِكُمْ أَنِفُوا

ويرسم القعقاع صورة غير مسبوقة للأسر، وهي صورة الحبس الجماعي، فجيش العدو محبوسٌ بأكمله بين براثن جيش المسلمين، فيحبس ركاب الفيروزان ومن معه من الفرسان، يقول[4]:

حَبَسْتُ رُكَابَ الفَيْرُزَانَ وَجَمْعَهُ عَلَى فِتْرِ مِنْ حَرِّها غَيْرَ فَاتِرِ

---

1. الجندي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ص 45-46
2. الزبيدي، ديوانه، ص 119
3. الزبيدي، ديوانه، ص 152
4. التميمي، ديوانه، ص 136

ويحبس قوم القعقاع عدوه في الزَّمازِمِ، بعدَ أن أعدَّ لهم العدو العدَّة والعتاد، فالعدة تكون بالاستعداد للحرب بتهيئة النفس للقاء العدو، والعتاد يكون في تجهيز المحاربين والسلاح، فرتبوا للحرب ترتيباً متكاملاً، يقول القعقاع[1]

فَنَحْنُ حَبَسْنَا بالزَمَازِمِ بَعْدَما أَقَامُوا لَنَا في عَرْضَةِ الدَّارِ تَرْتُبَا
قَتَلْنَاهُمْ مَا بَيْنَ قَلْعٍ مُطْلَقٍ إِلى القِيْعَةِ الغَبْرَاءِ يَوْماً مُطْنِبا[2]

3.2.3 تمني لقاء العدو:

من الصور التي رسمها الشاعر المحارب للعدو في شعره، أنَّه يتمنى لقاء عدوه، وذلك لأخذ الثأر، أو للنيل منه، أو للفخر بنفسه وبشجاعته، ومثلما وصف الشاعر نفسه يتمنى لقاء العدو، وصف عدوه يتمنى لقاءه، أيضا، ولكن في كلتا الحالتين، كان اللقاء يجلب الخراب والدمار، والتشتت والفرقة، فالحرب مهما كانت نتائجها تبقى مكروهة عند الشاعر المحارب، لأن قتال الأعداء ليس بسيطاً، فقد يبذل به الإنسان نفسه، وماله، وقد يفقد أخاً، أو ابناً، أو صديقا.

والنبي، صلَّى الله عليه وسلَّم، كان يحثُّ أصحابه على عدم تمني لقاء العدو فقال:" لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا"[3].

ولم يوصِ النبي، صلى الله عليه وسلم، أصحابه بتلك الوصية إلّا لمعرفته التامة بالأثر النفسي الذي سيجلبه لقاء العدو، وبالأثر الجسدي كذلك، فالحروب منهكةٌ متعبةٌ للجسد، وقد تودي بحياة المحارب، وقد تترك أثرا نفسيًّا عميقاً، فيصبح

---

1. التميمي، ديوانه، ص 143
2. القلع: السفن، القيعة: الفلاة، الطنب: الإقامة
3. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب الجهاد والسير، باب لا تتمنوا لقاء العدو، دار طوق النجاة، حديث رقم (2861)، ص181

المحارب يخاف من القتل والموت، ومن لقاء أعدائه، فهذا الأشعث بن قيس يصف فرار أحد الفرسان منه، خائفاً من الموت، مشبهه بالحُمْر المستنفرة[1]:

لَقِيْتُ المُهَاجِرَ في جَمْعِهِ بِعَصْبِ حُسَامٍ دَقِيْقُ الغُرَّةِ
فَفَرَّ ذَلِيْلاً ولَمْ يَتَثَنَّ فِرَارَ الحِمَارِ مِنْ القَسْوَرَة

لذلك فإنَّ تمني لقاء العدو يتطلب من الشاعر المحارب الثبات في وجه عدوه، وعدم الفزع منه والخوف، مهما كانت قوة العدو وبسالته، ولا يقتصر لقاء العدو على الشجاعة فقط، بل لابدَّ من إعداد العدة لهذا اللقاء، بتجهيز السلاح، والمحاربين، ووضع الخطط الحربية التي تكفل النصر على الأعداء.

وقد صور عمرو بن معد يكرب، والقعقاع بن عمرو التميمي، مدى اهتمام العدو بلقائهما، وتشوقه لمحاربتهما، فهذا عمرو يذكر أنّ العدو تمناه وهو راكب على فرسه، عليه مفاضة كالنهى، تردُّ الرمح مُنْثَنِياً، ويتوعد عمرو ذلك العدو بأنَّه لو لقيه سيلقى ليثاً هَصُورا عليه لُبده، غليظ البراثن، منشور كَتَدُه، يقول عمرو[2]:

تَمَنَّاني على فَرَسٍ عَلَيْهِ جَالِساً أَسَدُهُ
عَلَيَّ مَفَاضَةٌ كَالنَّهْـ ـيِ أَخْلَصَ مَاءَهُ جَدَدُهُ (3)
تَرُدُّ الرُّمْحَ مُنْثَنِيَ الـ ـسِنَانِ عَوَائِرٌ قِصَدُهُ (4)
فَلَوْ لَاقَيْتَنِي لَلَقِيـ ـتَ لَيْثاً فَوْقَهُ لِبَدُهُ
تُلَاقِي شَنْبَثاً شَثْنَ الـ ـبَرَاثِنِ نَاشِزاً كَتَدُهُ (5)

---

[1]. ديوان حروب الردة،(2004)، جمع وتحقيق محمود عبدالله الخير، عمان، دار جهينة،ص 36، وانظر، ابتسام مرهون الصفار، الخوف في شعر الفرسان، جامعة بغداد- التربية للبنات، ص 26.

[2]. الزبيدي، ديوانه، ص 87-88

[3]. المفاضة: الدرع الواسعة، النّهى: الغدير من الماء، الجَدَد: الأرض الصلبة،

[4]. عوائر: متطايرة، القِصَد: ما يتكسّر من الرمح.

[5]. شَثَن: غليظ الأصابع، ناشر: مرتفع، الكَتَد: ما بين الكتفين.

ويتمنى بنو مازن خلاط الشاعر في الحرب، جهلاً منهم بقوته وفروسيته، فعندما خالطهم لاقوا منه طعم الخلاط، فوجدوه قويا فارسا لا يُشَقُّ له غبار، يقول[1]:

تَمَنَّتْ مَازِنٌ جَهْلاً خِلاطِي فَذَاقَتْ مَازِنٌ طَعْمَ الخِلَاطِ[2]

وبنو قيس يتمنون لقاء الشاعر، وهو لابسٌ سابِغَتُهُ، حاملاً سيفه الكنعاني، الذي نصله من صنع قوم عاد، وعمرو يحبُّ هذا اللقاء ويتطلع إليه، محذِرا قيس بأنَّه سيلاقي ليثا هَصوراً، يقول[3]:

تَمَنَّى أَنْ يُلَاقِينِي قُيَيْسٌ وَدِدْتُ وَأَيْنَمَا مِنِّي وِدَادِي
تَمَنَّانِي وَسَابِغَتِي قَمِصِي كَأَنَّ قَتِيْرَهَا حَدَقُ الجَرَادِ
وَسَيْفٌ مِنْ لَدُنْ كَنْعَانَ عِنْدِي تُخُيِّرَ نَصْلُهُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
فَلَو لَاقَيْتَنِي لَلَقِيْتَ لَيْثاً هَصُوراً ذَا ظُبًا وَشْباً حِدَادِ
وَلَاسْتَيْقَنْتَ أَنَّ المَوْتَ حَقٌّ وَصَرَّحَ شَحْمُ قَلْبِكَ عَنْ سَوَادِ

أمَّا في شعر القعقاع، فلا نجد الصور الكثيرة لتمني لقاء العدو، وقد يكون ذلك راجعاً للوازع الديني الذي يحمله القعقاع بداخله، وخاصة أنّ النبي، صلَّى الله عليه وسلَّم، نهى عن تمني لقاء العدو، كما ذكرنا سابقاً، ولكنّه يرجو هنا أن يلاقي جموع الأعداء، في الغدوة، لكي يقضي منهم وطراً، ويشفي غليله منهم،

يقول القعقاع [4]:

تَرَكْنَا حَصِيْداً لا أَنِيْسَ يُجِرُّهُ وَقَدْ شَفَيَتْ أَرْبَابَهُ بالأَعَاجِمِ
وَإِنِّي لَرَاجٍ أَنْ تُلاقِي جُمُوعَهُمُ غُدَيًّا بإِحْدَى المُنْكِرَاتِ الصَوَارِمِ

وبعد، نلحظ من خلال ما سبق أنَّ كلا الشاعرين رسما صورا عديدة للعدو، ومنها صورة العدو المهزوم، التي تعددت أشكالها، فنجده تارة يهرب من أرض

---

1. الزبيدي،ديوانه، ص 136
2. الخِلاط: المشاركة في الحرب.
3. الزبيدي، ديوانه، ص 110-111
4. التميمي، ديوانه، ص 166

المعركة، وتارة أخرى يصوران مدى الهزيمة التي أوقعاها بعدوِّهم، وهو تحت سهامهم، وطعن رماحهم، وضرب سيوفهم، فتركوا أبطالا يتساقون الموت.

ونجد كلا الشاعرين يرسم صورة للعدو المأسور، فمنهم من رجع بأسرى الحرب، ومنهم من عفا عن أسيره لأن العفو شرف، ومنهم من صور العدو مأسورا بأكمله.

ليصل بنا المطاف إلى كيف تمنى العدو لقاء الشاعرين، ولكنَّه تفاجأ بقوتهما، وهرب من هول ما رأى من قوميهما.

الخاتمة

وقفت هذه الدراسة على تجربتين شعريتين عند شاعرين فارسين، هما: عمرو بن معد يكرب الزبيدي، والقعقاع بن عمرو التميمي، متمثّلة بدراسة صورة الحرب في ديوانيهما، موضوعيا وفنيا، كاشفة عن جوانب إبداعية في رسم الصورة وسبكها في شعرهما، وقد خلُصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

أولًا: للحرب مكانة عند كلّ الشعوب، ولها الدور الفاعل في صقل شخصية الشعراء، وقد جعلت من الشعر سجلا للأحداث والوقائع، والحرب من أحد الدوافع التي حدت ببعض القبائل إلى انتحال الشعر، لاهتماهم في حفظ الوقائع الخاصّة بهم، كما تعدّ الخيار الأصعب الذي يلجأ العربي إليه؛ دفعا للظلم عن نفسه وقومه، أو من يستنجد به.

ثانيًا: يشترط في الفارس المحارب أن يكون ذا علم واسع بفنون الحرب والقتال، وأن يتميّز بصفات جسدية تمكنه من خوض المعارك.

ثالثًا: لا يتورع الفارس المحارب من ذكر الحقيقة والاعتراف، فلا يخجل من ذلك، فلا يعيبه الأسر، وقد اصطلحت على تسميته "اعترافات الشجعان"، حين يعترفون بقوّة أعدائهم، أو خوفهم، ومعبّرين عن خوالج أنفسهم، وما اعتراها من شعور وأحاسيس عند لقاء العدو، إذ تعدّ مثل هذه الأشياء من باب أخلاق الشعراء الفرسان في إنصاف أعدائهم بذكر حسن بلائهم وشجاعتهم في المعارك.

رابعًا: كان حضور القعقاع بن عمرو في الإسلام يفوق حضور عمرو بن معد يكرب، على خلاف ما كان في الجاهلية.

خامسًا: هناك سمة في شعر القعقاع الحربي ذات ارتباط بانتهاء المعركة، وهي سمة الذكريات التي ما زال القعقاع يحتفظ بها بعد المعارك.

سادسًا: للقبيلة دور كبير في إبراز فرسانها كما عند عمرو بن معد يكرب، لكن القبيلة التي يعتمد عليها القعقاع تفوق ما هي عليه عند عمرو؛ للرابط العقدي والديني.

سابعًا: عمرو بن معد يكرب من الشعراء الذين يصفون الحرب من داخلها وهي في قمة ذروتها، وفي أوج اشتعالها ببراعة وإتقان.

ثامنًا: ثمّة اختلاف بين الشاعرين في بعض السمات، كاتخاذ عمرو من الهجاء وسيلة لوصف القوم قبل المعركة، وهو ما لا نجده عند القعقاع، كما برزت قضية لوم القبيلة على التقصير عند عمرو، في حين لم تظهر عند القعقاع، بل بقي معتزّا بجيش قومه، ومفتخرا ببطولاته، وإذا كان القعقاع يهتمّ بقضية قتل القادة، فهذا الأمر لا يعني شيئا عند عمرو، إذ لا يفرّق بين القادة والجند؛ فكلهم عنده أعداء، وتختلف صورة الفتيان عندهما تبعا للنتائج المرجوّة، فعمرو يريد هزيمة الأعداء والقضاء عليهم، بخلاف القعقاع الذي يسعى قومه إلى أمرين: النصر أو الشهادة، كما نلمح سمة الاهتمام بالتفاصيل عند القعقاع، من مثل: الوصف الجغرافي والتاريخي، وأسماء المعارك، وأماكن حدوثها، وذكر أسماء القادة، خاصّة قادة العدو، وهذا ما لا نجده عند عمرو، إذ كان يهتم كثيرا بالصور الحربية الحركية.

تاسعًا: يرسم الشاعران صورا عديدة للعدو، منها: صورة العدو المهزوم، وبيان حالة هروبهم، وأثر وقع الهزيمة في نفوسهم، وكذلك صورة العدو المأسور، جيشا وعدّة، ثمّ بيان تمني العدو لقاء الشاعرين، وما حصل لهم من مفاجأة من قوّتهما، الأمر الذي استدعى هروبهم وفرارهم من المعركة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (1994م). **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري**، تحقيق: السيد أحمد صقر، وعبد الله المحارب، دار المعارف، ومكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى.

ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، (1994)، تحقيق:علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ج4.

الأصفهاني، أبي فرج، **الأغاني**، تصحيح الأستاذ الشيخ أحمد الشنقيطي، مطبعة التقدُّم، القاهرة،ج14.

الأعشى، ميمون بن قيس، (1992)، **شرح ديوان الأعشى الكبير**، تحقيق وشرح حنَّا نصر الدين الحتي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت.

الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبدربه، (1987)، **العقد الفريد**، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2.

الأندلسي، ابن حزم **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1.

البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب الجهاد والسير، باب لا تتمنوا لقاء العدو، دار طوق النجاة.

التبريزي، الخطيب، **تهذيب الألفاظ**، تحقيق لويس شيخو، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، ج15.

أبو تمام، حبيب بن أوس، (1992)، **الحماسة**، شرح المرزوقي، دار الجيل، بيروت، ط1.

التميمي، القعقاع بن عمرو (2007م). **ديوان القعقاع بن عمرو التميمي**، جمع وتحقيق وصنع وتدقيق وتعليق: حسن محمد الربابعة، عمان – الأردن، ط1.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (1423هـ). **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت ــ لبنان، ج: 3.

الجاحظ (عمرو بن بحر)، **الحيوان**، تحقيق عبدالسلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، ط2، 1965، ج3.

الجبوري، سعد، (2000م) **البناء الفكري والفني لشعر الحرب عند العرب قبل الإسلام**، مؤسسة الرسالة.

الجرجاني (عبدالقاهر)، **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة، ط3، 1992.

الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام (د.ت). **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة – السعودية، د.ط، ج: 1.

الجندي، علي،(د،ت)، **شعر الحرب في العصر الجاهلي**، دار الفكر العربي، القاهرة.

الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حمّاد)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987، ج1.

ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي (2004م). **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، دار البحار، بيروت – لبنان، ط3، ج: 1.

حمدان (كامل عبدربه)،(2007). الصورة البشعة للحرب في الشعر الجاهلي، **مجلّة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، العددان (3-4)، مج 6.

الحموي، ياقوت، (1984)، **معجم البلدان**، تحقيق إحسان عباس، دار الفكر، بيروت،ج4.

خريسات، محمد، عصام عقلة،(2012)، **الفاصل بين الحقِّ والباطل في مفاخر قحطان واليمن**، المؤلف مجهول، دار اليازوري العلمية.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (1987م). **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1.

ديوان حروب الرِدة،(2004)، جمع وتحقيق محمود عبـــدالله الخيـــر، عمـــان، دار جهينة.

الرفوع (خليل)، صورة الحرب في الشعر الجاهلي، **مجلّة قطر للآداب**، عـــدد 28، 2006.

الزبيدي، عمرو بن معد يكرب (1985م). **عمرو بن معد يكـــرب الزبيـــدي حياتـــه وشعره**، جمع وتحقيق وتنسيق: مطاع الطرابيشي، منشورات مجمـــع اللغـــة العربية بدمشق، دمشق – سوريا، ط2.

الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق علي هلالي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ج3.

الزحيلي (وهبة)، **آثار الحرب**، دار الفكر، دمشق، ط4، 1992.

الزركلي، خير الدين بن محمد بن محمود الدمشقي، (2002)، دار العلم للملايـــين، بيروت، ط15، ج4.

الزيات (إبراهيم)، (1989). **المعجم الوسيط**، دار السندسية، إسطنبول.

سلطان (حامد)، **التشريع الإسلامي والنظم القانونية الوضـــعيّة**، الهيئـــة المصـــرية للكتاب، مج3، 1978

ابن سيده المرسي، أبو الحسن علي بـــن إســـماعيل (2000م). **المحكـــم والمحـــيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنـــان، الطبعة الأولى، ج: 3،

الشايب، أحمد، (1954م)،**تاريخ النقائض في الشعر العربي**،ط2، مكتبـــة النهضـــة المصرية.

شكري، محمود عياد،(1971)، **البطل في الأدب والأساطير**، دار المعارف، القاهرة، ص77.

الشيباني، أبو عمرو (2001م). **شرح المعلقات التسع**، وهو منسوب للشيباني نسبة قد لا تصح، تحقيق: عبد المجيد همو، مؤسسة الإعلامي، بيروت – لبنـــان، الطبعة الأولى.

شيخو، لويس، (د،ت)، **شعراء النصرانية قبل الإسلام**، ط3، دار المشرق، ص250

الضبي، المفضل بن محمد،(د،ت)، **المفضـــليات**، تحقيق وشرح أحمد شاكر، وعبـــد السلام هارون، بيروت، ط6.

ضيف، شوقي، أحمد شوقي عبد الســـلام (د.ت). **تـــاريخ الأدب العربـــي العصـــر الجاهلي**، دار المعارف، القاهرة- مصر.

طاليس (أرسطو)،(1967). **فنّ الشعر**، ترجمة محمد شكري عيّـــاد، دار الكتـــاب، العربي، القاهرة.

الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، ط2، دار التراث، بيروت،ج2.

طليمات، غازي، وعرفان الأشقر، (1992)، **الأدب في العصر الجاهلي، قضـــاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه**، دار الإرشاد، حمص- سوريا.

عروة بن الورد، ديوانه، **أمير الصعاليك**،(1998)، دراسة وشرح وتحقيق، أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **الإصابة في تميز الصـــحابة**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ج5.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (1419هـــ). **الصـــناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيـــروت – لبنان، د.ط.

عنترة، (1983)، **الديوان**، شرح وتحقيق: محمد سعيد، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت.

عيكوس (الأخضر)، الخيال الشعري وعلاقته بالصورة الشـــعرية، **مجلّـــة الآداب**، عدد1، 1994.

الفيروز أبادي (مجد الدين)، (1344هـــ). **القاموس المحـــيط**، المطبعـــة الحســـينية المصريّة، مصر، ج2.

القاضي، النعمان عبد المتعال (2005م). **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.

القط (عبدالقادر)، (1981). **الاتجاه الوجداني في الشـــعر العربـــي المعاصـــر**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2.

القيسي، نوري حمودي، (1984)، **شعراء إسلاميون**، علم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط2.

القيسي، نوري حمودي،(1986)، **شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري**، ط1، مكتبة النهضة العربية، بيروت.

القيسي، نوري حمودي،(د،ت)، **الفروسية في الشعر الجاهلي**، مكتبة النهضة، بغداد، ص26.

ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ج7.

ابن كلثوم، عمرو، (1991م)، جمعه وحققه الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت.

مجلّة الرّسالة، مج2، السنة2، عدد94، 24/ 9/ 1934

مذكور (إبراهيم)، (1980). **المعجم الوجيز**، الدار السندسية، مصر.

المزايدة، ضيف الله، (2013)، **صورة الشاعر المحارب في الشعر الجاهلي دراسة تحليلية وتأويلية**، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، قسم اللغة العربية وآدابها، إشراف الأستاذ الدكتور خليل الرفوع.

المقدسي، أبو شامة، (1997)، **عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق إبراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (1414هـ). **لسان العرب**، دار صادر، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثالثة.

ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي (1987م). **لباب الآداب**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة – مصر، الطبعة الثانية.

ابن هشام، عبدالملك بن هشام الحميري، **السيرة النبوية**، دار المعرفة، بيروت، ج2،

هلال (محمد غنيمي)، (2005). **النّقد الأدبيّ الحديث**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط6.

وهبة (مجدي)، (1974). **معجم مصطلحات الأدب**، مكتبة لبنان، بيروت.

اليافي (نعيم)، (1982). **مقدّمة لدراسة الصورة الفنية**، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، دمشق.

المعلومات الشخصية

الاسم: محمد خالد المبيضين

التخصص: ماجستير اللغة العربية وآدابها

الكلية: الآداب

السنة: 2017